سدوس منظومة تراثية تشكل هوية مكان

منطقة الرياض بالمملكة العربية السعودية

د. وائل حسين يوسف أحمد
أستاذ مساعد بقسم العمارة ـ كلية الهندسة ـ جامعة أسيوط ـ جمهورية مصر العربية
hywael@hotmail.com
أستاذ مشارك بقسم عمارة البيئة ـ كلية تصاميم البيئة ـ جامعة الملك عبد العزيز ـ المملكة العربية السعودية
whahmed@kau.edu.sa

ملخص:

تعد قضية الهوية العمرانية والمعمارية وربطها بالجذور التراثية من أهم القضايا التي تعيد مجتمعاتنا وتصونها من سيطرة العولمة على شتى المجالات، وتعمل أيضاً على إعادة صياغة المكان وترسيخ قيمه وإستمراريته الحضارية. ويدعم إستخراج المفاهيم والقيم التراثية بشكل كبير إستعادة الهوية ورسم الطابع المميز للمنطقة والمرتبط بالبيئة والمجتمع المحيط.

وتمثل المناطق التراثية نبع لاينضب من المفاهيم والمفردات والخصائص، تعكس بشكل صادق طبيعة وهوية المجتمع والمكان، والتي يمكن رؤيتها كنتاج تفاعلي مع المكان، قدم خلالها القائمون على عمران هذا الكيان إستجابة حقيقية لعلاقتهم بالمحيط والموارد المتاحة وترجمة تلقائية للتاريخ الإنساني والبيئي. والمقصود هنا ليست الهوية الشكلية للمفردات أو الطابع البصري فقط، ولكن هوية المنظومة المتكاملة المعمارية والعمرانية، الوظيفية والبيئية والبصرية والمجتمعية.

وتعتبر سدوس أحد أهم البلدات الموجودة بمنطقة الرياض ذات كيان متكامل ومتوافق مع المحتوى الطبيعي والبيئي المحيط، وهى معروفة بغناها بالمفردات والعناصر المعمارية والعمرانية التى كانت تمثل حلولا لمتطلبات إجتماعية وحياتية وبيئية، وتمثل تجسيداً جيداً لهوية المكان التي غابت مع المستجدات المعاصرة. وتتعرض الدراسة إلى مفهوم التكوين العمراني لسدوس، بداية بدرسة موقعها وهوية المكان وكيانه، وإستخلاص هوية التكوين العمراني وسماته التشكيلية والوظيفية مع تحليل للفراغات المكونة والحاكمة للطابع العام لها، ودراسة تأثر العمران وهويته بمواد البناء وعناصر الإنشاء لها، والحالة العمرانية الحالية التى وصلت لها سدوس، ونهاية بخلاصة السمات المشكلة لهوية سدوس العمرانية والمعمارية، بهدف الإستفادة من تلك المفاهيم كموجهات لهوية المنطقة العمرانية والمعمارية.

إشكالية الدراسة:

تمثل إشكالية الدراسة غياب الهوية في خضم الغزو العالمي الدخيل، الذى يمد جذوره وسيطرته على العمران، مع تجاهل المصممين والمسؤولين في أغلب الاحيان، للعلاقة بين الكيان العمراني والمنظومة البيئية والطبيعية والثقافية المحيطة، يضاف الى ذلك فقدان وإندثار بعض المناطق التراثية لغياب الوعي ومفاهيم الحفاظ، وبالتالي عدم الإستفادة من المفاهيم المتأصلة وخبرات التراث.

هدف الدراسة:

الإستفادة من المفاهيم التراثية لعمارة وعمران بلدة سدوس لما لها من تفرد وغنى لإستخراج توجهات تدعم الهوية المعاصرة لعمران المنطقة تعبر عن السمات المكانية والثقافية والإجتماعية للبيئة الحالية.

منهج الدراسة:

يعتمد البحث على المنهج التحليلي والبحث الميداني التوثيقي، حيث إنتهج البحث المراحل التالية لتحقيق الهدف من البحث:

أ ـ الزيارة الميدانية، بهدف البحث عن المفاهيم التي شكلت هوية بلدة سدوس.

ب ـ تجميع كافة البيانات والمعلومات الخاصة بالدراسة وتحليلها وإستخراج العوامل المؤثرة.

عناصر الدراسة:

لتحقيق هدف الدراسة ستتناول النقاط التالية:

مفهوم وهوية التكوين العمراني لسدوس.

الأبعاد التشكيلية والطابع العمراني والمعماري لسدوس

الحالة التي وصل إليها عمران وعمارة سدوس.

خلاصة السمات المشكلة لهوية سدوس العمرانية والمعمارية

مدخل مقترح للإستفادة من المخزون التراثي لسدوس في تشكيل هوية معاصرة للمنطقة.

١ـ مفهوم وهوية التكوين العمراني لسدوس.

ترتبط فكرة الهوية إرتباطا مباشراً بفكرة التعبير العمراني والمعماري، والمقصود بالتعبير العمراني هنا هو ما يتركه الإنسان من بصماته المتأثرة بالمكان ومقوماته على العمران، ثم مايتركه العمران من أحاسيس وصور ذهنية على الإنسان وذاكرته. أي أنه يمكن القول بأن الهوية المعمارية للمدينة يمكن

قراءتها من خلال الملامح العمرانية والمعمارية المعبرة عن المدينة. ويقصد بالملامح أيضا كل المظاهر البصرية والحسية التي نتأثر بها من العناصر والكتل والمفردات والفراغات ومفروشاتها التي تُكون أو تدخل في تكوين النسيج العمراني والمعماري. ولتوضيح خصائص وهوية سدوس التراثية تتعرض الدراسة إلى الآتي:

١-١ موقع سدوس وهوية المكان.

نشأت بلدة سدوس على ضفاف أعالي وادي وتر «صلبوخ»، وتقع قرية سدوس على بعد ٧٠ كيلو مترا شمال غرب مدينة الرياض على الحافة الشمالية لوادي الخمرة المتفرع من وادي حنيفة الذي يحد سدوس من الجنوب، بينما يحدها جبل الأبكين من الشرق وحشم البلدية من الغرب. وتتبع سدوس إمارة منطقة الرياض (سليمان، أسعد عبده، معجم الأسماء الجغرافية المكتوبة على خرائط المملكة العربية السعودية، مكتبة المدني، جدة، ١٩٨٤م، ص ٢٤٠)، وترتفع عن سطح البحر ٦٢٦ متر تقريبا، ولهذا الإرتفاع أثره النسبي في إرتفاع معدل كمية الأمطار الساقطة عليها حيث بلغ معدلها ١١٨.٢٧ ملليمتر.(السعيد، صبحي أحمد، نمط التوزيع المكاني والتركيب الوظيفي لمراكز الاستيطان البشرى في منطقة نجد، عمادة شئون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٨٦م، ص ١٣٣). ولهوية المكان مقومات الإستقرار، فكل فترة زمنية ولعدة عوامل يعاد تعميره، ويأخذ إسمه القديم أو إسما جديدا. وقد ذكر بعض المؤرخين وعلماء المنازل والديار قلاعا وحصونا في بلدة «سدوس» منها القصر القديم، وجوفاء بني سدوس وهي قلعة عظيمة. وكان لموقع سدوس المتوسط في نجد على أحد الطرق المهمة في الجزيرة العربية، تأثير ملموس في تطوره ونموه العمراني. وأوضح الباحث والمؤرخ وعضو إتحاد المؤرخين العرب عبد المحسن بن محمد بن معمر، أن سدوس واحة إستقرار بشري موغلة في القدم، ويرجح قِدَمه لعوامل عدة أسهمت في ذلك الإستقرار، أهمها: المياه ثم جودة التربة، وقربها من أهم الطرق في وسط الجزيرة العربية، ثم وجود مناطق رعوية وغابات تعتبر جيدة في الشعاب والأودية المحيطة بها (شكل-١).(بدر، الخريف، جريدة الشرق الأوسط، سدوس أقدم مستوطنة بشرية في الجزيرة العربية تتحول إلى أطلال، الرياض، العدد ١٢٣٤٠، سبتمبر ٢٠١٢م، شوال ١٤٣٣هـ)

شكل ١. الموقع العام وطبيعة هوية المكان المحيط لبلدة سدوس، تحيطه الشعاب والمناطق الرعوية والأودية.

١-٢ هوية التكوين العمراني لسدوس

مرت سدوس بمراحل من النمور العمراني، وأقدمها القصر الذي ينسب لعصر سليمان بن داود عليهما السلام، غير أن تلك الأبنية إندثرت، ثم أعيد بناء البلد وتعميرها قبل الإسلام بقرنين من الزمان على يد بني سدوس بن شيبان بن ذهل من بني وائل، وأصبحت بلداً عامراً مدة ليست قصيرة، ثم مرت بمرحلة تراجع عمراني حتى عام ٨٥٠ هـ، حيث أعاد لها حسن بن طوق التميمي حيويتها، وبدأت في النمو العمراني من جديد، وتدل بقايا آثار عمرانها وأسوارها على بعض من مراحل نموها وتطورها، حيث كانت تشغل مبانيها في القرن التاسع الهجري جزءاً يسيراً من حي «البلاد»، يحيط بها سور محكم، بينما يحيط بالمزارع سور آخر ما زالت بعض بقايا أبراجه قائمة، ولكنه دمر مثل بقية أسوار البلدان على يد قوات إبراهيم باشا بعد سقوط الدرعية عام ١٢٣٣هـ، ولقد أسهم خراب العيينة وسقوط الدرعية في القرن الثالث عشر الهجري في زيادة عدد سكان سدوس الذين إنتقلوا من البلدتين، مما أسهم في نموه العمراني، وتم توسيع القلعة من الجهة الشمالية، وهي المنطقة من برج آل عبد العزيز أو آل جميعة إلى برج آل محمد، وأضيفت للقلعة لمقابلة النمو السكاني. إرتبط مفهوم تكوين سدوس بطبيعتها ونشأتها ومراحل نموها العمراني، والذي بدأ بحصن مستطيل جاوره والتصق به من الجهة الشمالية إمتداد عمراني لاحق وإندمج مع الحصن القديم فشكلا معا الصورة التي عليها البلدة القديمة (شكل - ٢)، (التراث العمراني في المملكة العربية السعودية بين الأصالة والمعاصرة، وزارة الشئون البلدية والقروية، وكالة الوزارة وتخطيط المدن، الطبعة الثانية ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، ص ٥٢).

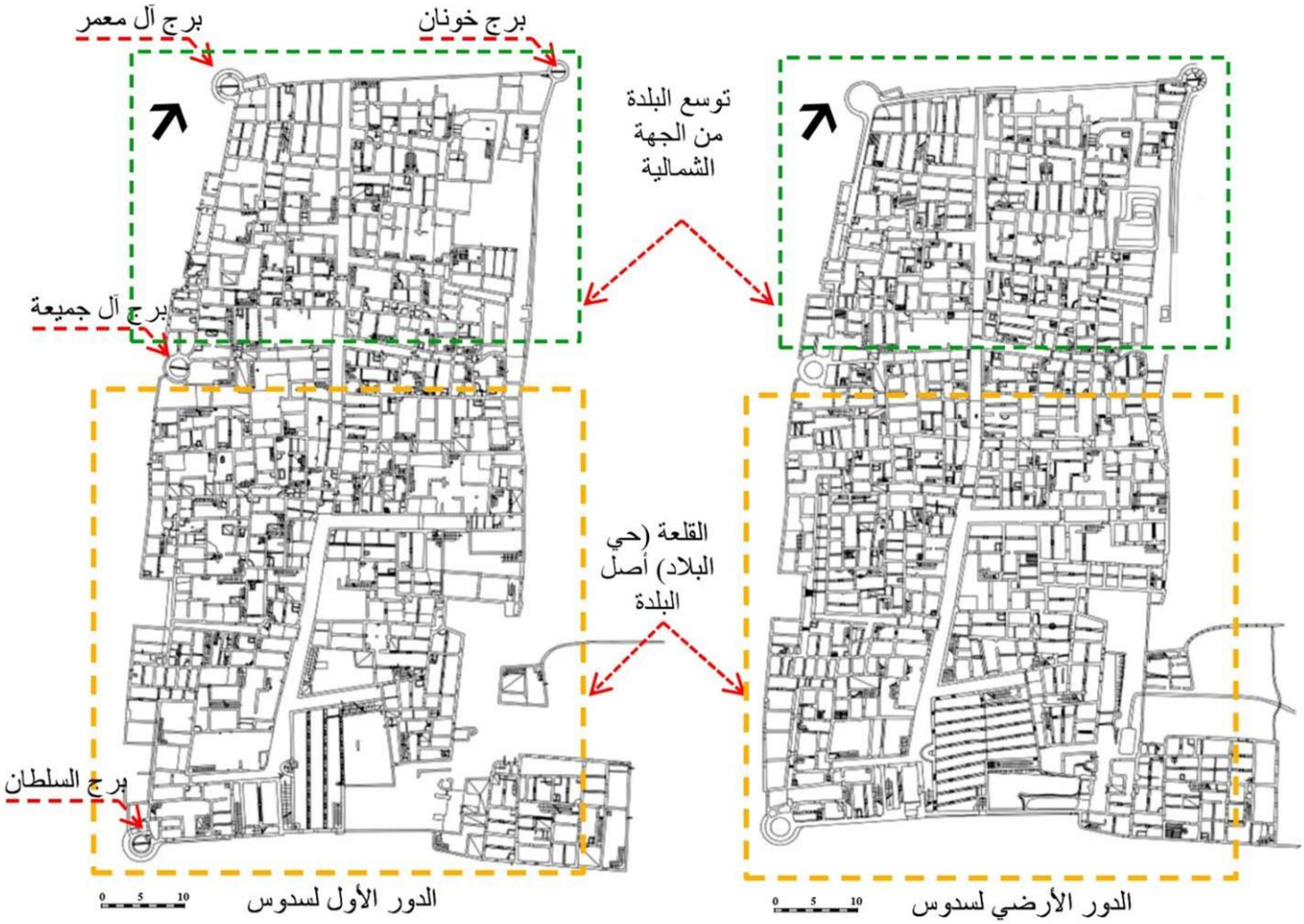

شكل ٢.المساقط الأفقية لبلدة سدوس، بدأت بالقلعة (حي البلاد) جنوباً، ثم إمتدت شمالاً بعد برج آل جميعة، بلدة ذات أسوار وأبراج وحصون
المصدر:(Doktor-Ingenieur, Qari:t Sadus, Prinzipien der Planung und Gestaltun).

٣.١ السمات العامة للتشكيل العمراني لسدوس.

خططت بلدة سدوس معتمدة على محور حركة رئيسي يشقها من الجنوب إلي الشمال، ويبلغ طوله حوالي ١٢٠ متر تقريبا، وينقسم إلى قسمين القسم الجنوبي يبلغ طوله ٧٥ متراً بإتساع ٢.٥ متر، بينما يبلغ طول القسم الشمالي ٤٥ متراً بإتساع ٢ متر، وإرتبط هذا الاختلاف في إتساع الشارع بظروف تخطيط الإمتداد العمراني للبلدة في هذا القطاع الذي أضيف في مرحلة لاحقة على الحصن القديم، ويعلو هذا الشارع تسعة سباطات، تتبع الدور الواقعة على جانبه الشرقي والغربي وسقط معظمها حاليا، وكانت هذه السباطات تغطى حوالي ٣٨ متراً من طول الشارع البالغ طوله ١٢٠ متر. (عثمان، محمد عبد الستار، عمارة سدوس التقليدية، دراسة أثرية معمارية، دراسة حالة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ١٩٩٩م، ص١٣٧)، وتميزت شبكة الطرق بسدوس تميزاً واضحاً ومتدرجاً، فتتفرع من الشارع العام عدة سكك جانبية وأزقة، بالجهتين الشرقية والغربية (شكل ٣)، وسميت هذه السكك بأسماء بعض من تقع دورهم بها. وعلى واجهتي كل زقاق أقيمت مجموعة من البيوت، بالإضافة إلى مسجد القرية الذي أقيم على يمين البوابة الرئيسية، ومدرسة، وأربعة أبراج في الأركان الأربعة للقرية. وتتخذ سدوس شكلا مستطيلا فهي مقامة على مساحة من الأرض أبعادها ٧٥ متر وعرض ٧٥٠ متر طول تقريبا.

وتتكون الكتلة العمرانية لسدوس من عدة أحياء منها حي البلاد، وحي جدة، وحي مصدة (شكل-٤). تكونت تلك الأحياء تبعا لظروف إجتماعية بيئية ووظيفية خاصة بالمنطقة من مجموعة من الوحدات السكنية المتلاصقة بعضها ببعض، تحتوى على فتحات خارجية قليلة، وتعتمد في مطلاتها على الداخل للخصوصية، يتخللها ممرات ضيقة ويبلغ عددها قرابة ١٢٠ بيتا مختلفة الأحجام وجميعها مكونة من دورين، كما أن المباني متلاصقة في كتلة عمرانية متصلة تحمي بعضها بعضا تمشيا مع الظروف المناخية للمنطقة.

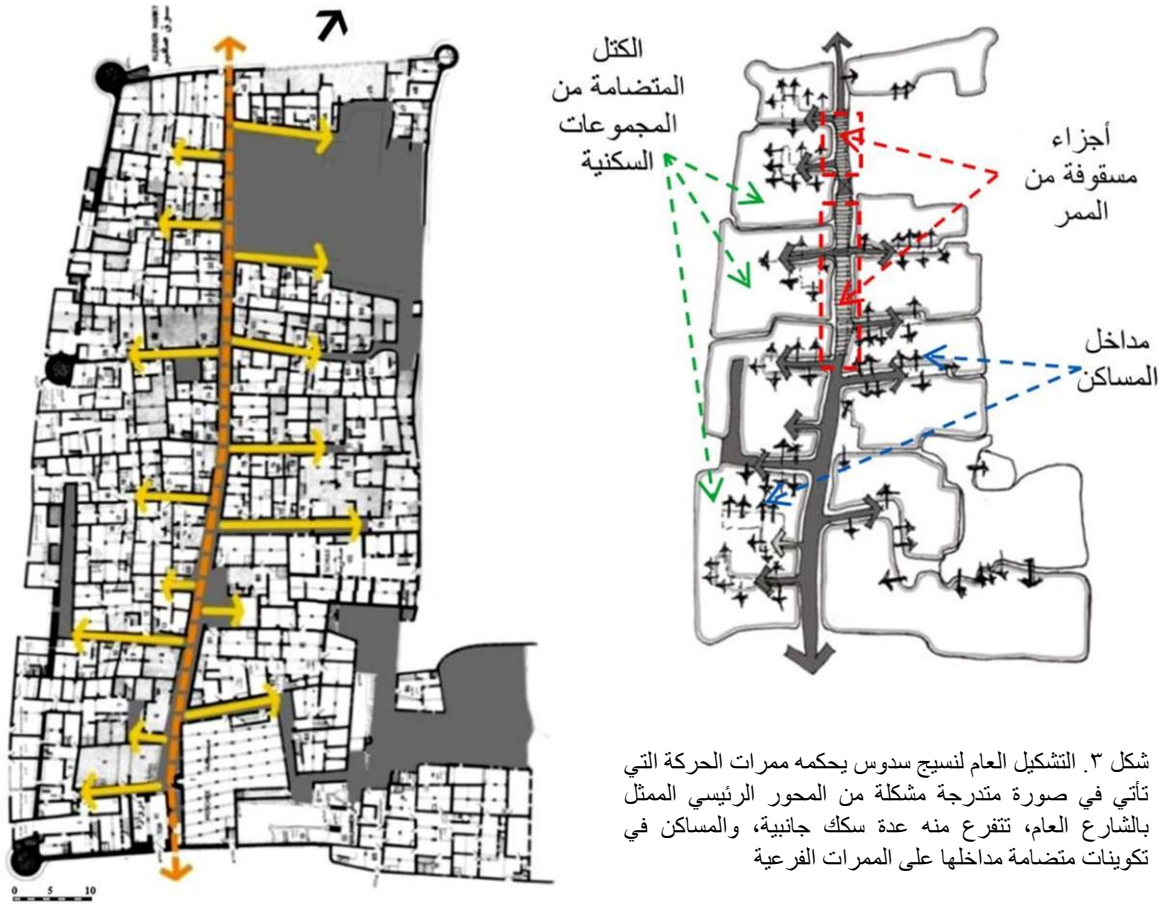

شكل ٣. التشكيل العام لنسيج سدوس يحكمه ممرات الحركة التي تأتي في صورة متدرجة مشكلة من المحور الرئيسي الممثل بالشارع العام، تتفرع منه عدة سكك جانبية، والمساكن في تكوينات متضامة مداخلها على الممرات الفرعية

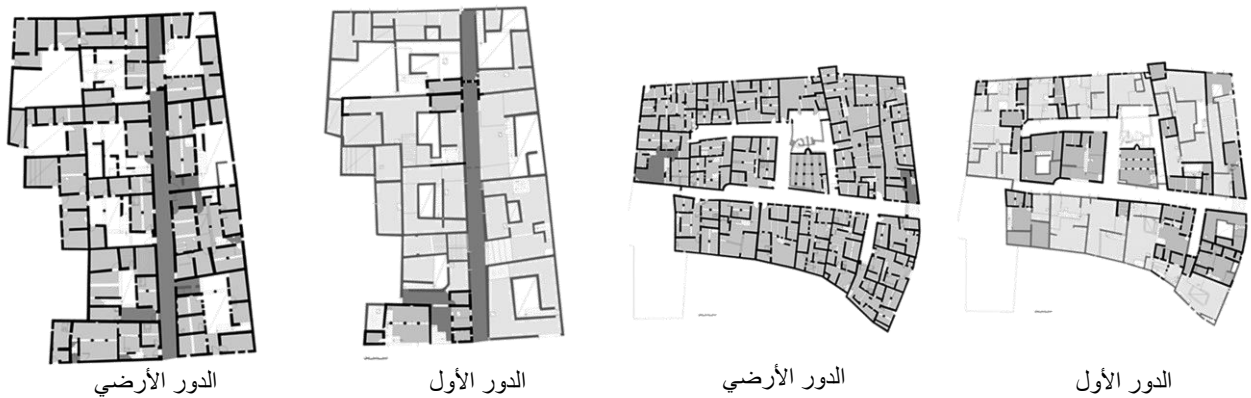

شكل ٤. التكوين العام لبعض أحياء بلدة سدوس، حي جدة وحي مصدة، وهما عبارة عن من مجموعة من الوحدات السكنية المتلاصقة، تشكلت تبعا لمفاهيم إجتماعية وبيئية ووظيفية خاصة

٢ـ الأبعاد التشكيلية والطابع العمراني والمعماري لسدوس.

تكون الطابع العمراني والمعماري لسدوس من خلال مجموعة من المفردات التي أستعملت بتلقائية إستجابة للظروف والعوامل المحيطة بسدوس، جمع بينها قاسم مشترك وملامح ثقافية وإجتماعية خاصة، ومعالجات تشكيلية إرتبطت بمفاهيم بيئية وإجتماعية ومكانية أثرت على تكويناتها، بالإضافة إلى نسبها ومقياسها والمواد المحلية المستخدمة، ووحدَتها ملامح إنعكست عليها عبر العديد من الأزمنة.

٢ـ١ الطابع العمراني.

هناك علاقة قوية بين الطابع العمراني والبية المحيطة بسدوس، فقد فرضت البيئة ظروف خاصة أرغمت سكانها على ضرورة التكيف معها، فالبيئة الصحراوية الجافة حددت طابعاً مميزا من العمران التقليدي وعمارة المساكن بها، إعتمدت على الحماية من المناخ القاسي وعوامل الأمن والأمان، ومن أهم مظاهره الشوارع الضيقة مع الأفنية الداخلية المكشوفة، وإتباع تغطية بعض أجزاء الممرات بالسقائف للحماية من الشمس. وكان للصراع والتناحر

بين القبائل والبلدات أثره على طابع ونسيج العمران، حيث تم تقسيمه إلى قطاعات سكنية ذات أبواب للتحكم والأمن. (التراث العمراني السعودي تنوع في إطار الوحدة، المؤتمر الدولي الأول للتراث العمراني في الدول الإسلامية، الهيئة العامة للسياحة والآثار، الرياض، ١٤٣١هـ.)

كما أن للظروف الأخرى الإجتماعية والدينية والإقتصادية دوراً مهماً في تشكيل وتميز طابع سدوس بالتماسك والتضام بين أجزائه، ويظهر ذلك في الكتلة المتلاصقة للمباني، وقلة وجود الفراغات الكبيرة داخل الأحياء تماشيا مع الظروف المناخية السائدة حيث المناخ الحار الجاف، الأمر الذي جعل طابع المباني يسود عليه الإغلاق من الخارج والإنفتاح على الداخل حول أفنية مع قلة الفتحات الخارجية وصغر أبعادها، وكان الهدف من تلاصق المباني تقليل الأسطح المعرضة للعوامل الجوية، وحتى يغطي الظل أكبر مساحة ممكنة (شكل-٥)، وقد تم تغطية بعض أجزاء الشارع الرئيسي بتسعة سباطات منحت سدوس طابعا خاصاً بالإضافة إلى الفائدة المناخية لتلك السباطات في توفير الظلال، ونسبة كبيرة من تلك السباطات تتبع بعض الدور التي تمتد واجهاتها بكامل المسافة المحصورة بين الجانبين. (G. Golang(ed): Urban Planning for Arid Zon, New York, John Willen& Sones Inc. ١٩٧٨, P.١٩& Kilical: P.٤٠٥). وتأخذ النوافذ بالسباطات الإتجاه الشمالي الجنوبي ومواضعها مرتفعة، وهي بجانب أنها تركت طابعاً خاصاً إلا إنها كانت في الأصل تعمل على تلطيف درجة الحرارة بالداخل. (A. Paport: House form and culture, Engliwood Gliffs. N. J. Prentice Hall Inc,. ١٩٦٩, PP. ٨٩-٩٠)، وفي الغالب لكل بيت فتحة أو فتحات تعلو الأبواب للرؤية الخارجية، لذلك تبدو المباني على شكل كتلة واحدة مستمرة بإرتفاعات متقاربة، ويتخلل تلك الكتلة بعض التفريغات التي تعمل كأفنية سماوية، وتساعد هذه التفريغات في تحريك الهواء للعلاقة بين المصمت والمفرغ، وتقوم المنازل بدور الحماية لبعضها البعض والتخفيف من شدة الرياح والحرارة ووهج الشمس. كما يتميز تصميم المباني بسدوس بالبساطة والتجانس في مفرداته المعمارية، فلاتوجد طبقية أو مباني خاصة بالفقراء وأخرى خاصة بالأغنياء، وإنما تتساوى المنازل وتتماثل في كل مظاهرها، كالشكل العام ومواد البناء وإرتفاعات الجدران وزخارفها الخارجية.

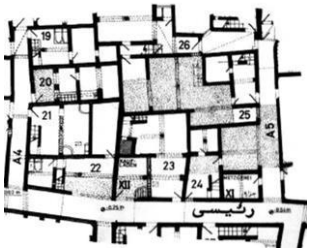

التلاحم والتضام لكتل المساكن

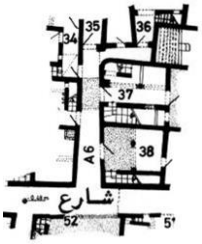

ممرات منكسرة ومتعرجة

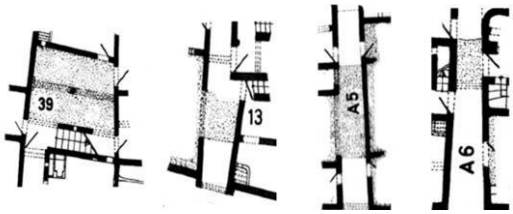

ممرات وساحات مسقوفة وتوازن بين الضوء والظلال المحببة

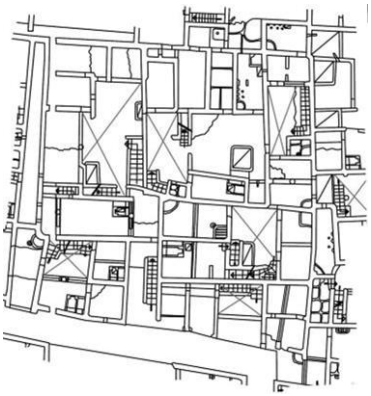

فراغات سماوية وكتل مصمتة

الواجهة الغربية

الواجهة الجنوبية

الواجهة الشمالية

الواجهة الشمالية الشرقية

شكل ٥. غلب على الطابع العمراني تلاحم المباني في كتلة متصلة، تنتهج مفهوم الحماية، وتوفر أكبر مساحة من الظلال لتجابه الظروف المحيطة. المصدر: (Doktor-Ingenieur, Qari:t Sadus، مرجع سابق)

٢-٢ الفراغات والعناصر المكونة والحاكمة للطابع المعماري العام وهوية سدوس.

لتوضيح وتفهم الطابع المعماري وهوية سدوس فإن الدراسة تتعرض لشرح تفصيلي للعناصر المعمارية ومفرداتها وطبيعة فراغاتها وعلاقاتها بالمكان في الآتي:

١-٢-٢ عناصر التحصينات.

تمثل تلك العناصر مفردات معمارية رئيسية في الصورة البصرية لطابع سدوس، وإشتهرت منطقة نجد بتحصين مستوطناتها تحصينا قويا منذ أقدم العصور وإختلفت صور التحصين، فهناك من المستوطنات ماأحاطت بها وبمزارعها ونخيلها وآبارها الأسوار، وهذه النوعية من المستوطنات كان

حصارها صعبا (الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٩٧٤م، ص ٣٠٤-٣٠٦)، وهناك من المستوطنات مأحاطت الأسوار بتكويناتها المعمارية وغالبا ماتزود هذه الأسوار بالأبراج والبوابات المحصنة للدفاع عن المستوطنين، وقد أنشئت سدوس على هيئة حصن مستطيل يشتمل على أبراج في زواياه الأربع. ويذكر الهمداني في إشارة إلى عمارة المنطقة التي بها سدوس أنها كانت عبارة عن حصون عادية وغير عادية. (الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، مرجع سابق، ص ٧٧). وتتكون هذه العناصر من الآتي:

[أ] الأسوار.

يضيف السور للتجمعات العمرانية طابعا يعكس الحماية والأمن والأمان بالإضافة إلى مايعكسه من مكونات ومفردات تشكل صورة بصرية تعبر عن الزمان والمكان، ويحيط بسدوس سور من الجهات الأربع، وهذه الأسوار كانت مزودة بأبراج في الأركان الأربعة، برج الركن الجنوبي الشرقي، وبرج الركن الشمالي الشرقي، كما يوجد برج خامس في منتصف السور الغربي تقريبا. هذا بالإضافة إلى البرج الذي يعلو الدروازة في منتصف السور الجنوبي والذي يطلق عليه محليا مصطلح المقصورة. (شكل ٦)، وبالسور الجنوبي الدروازة وهي بوابة محصنة كبيرة تمثل المدخل الرئيسي للبلدة، ومازالت محتفظة ببعض عناصرها المعمارية حيث يعلوها برج خاص للدفاع عنها. وكان بالسور الشمالي باب آخر في نهاية الشارع الرئيسي الذي يشق البلدة ويربط بين الدروازة في الجنوب وهذا الباب، وكان هذا الباب يسمى بباب أسفل السوق. بالإضافة إلى هذين البابين فتحت في فترة لاحقة العديد من الأبواب الصغيرة في السور الغربي تصل بين الدور الملاصقة لهذا السور من الداخل وإمتداداتها المعمارية التي أنشئت في فترة متأخرة، وكانت هذه الأبواب تسمى نقبات، ومن هذه الأبواب التي نقبت في السور الغربي باب إبن جميعه وباب عبد الله بن معمر وباب سعود بن معمر وآخرين. وقد فتحت هذه الأبواب بعدما إنتفت الحاجة إلى السور ولذلك لم يعترض احد من أهل سدوس على ذلك. (عثمان، محمد عبد الستار،مرجع سابق، ص ٦٨).

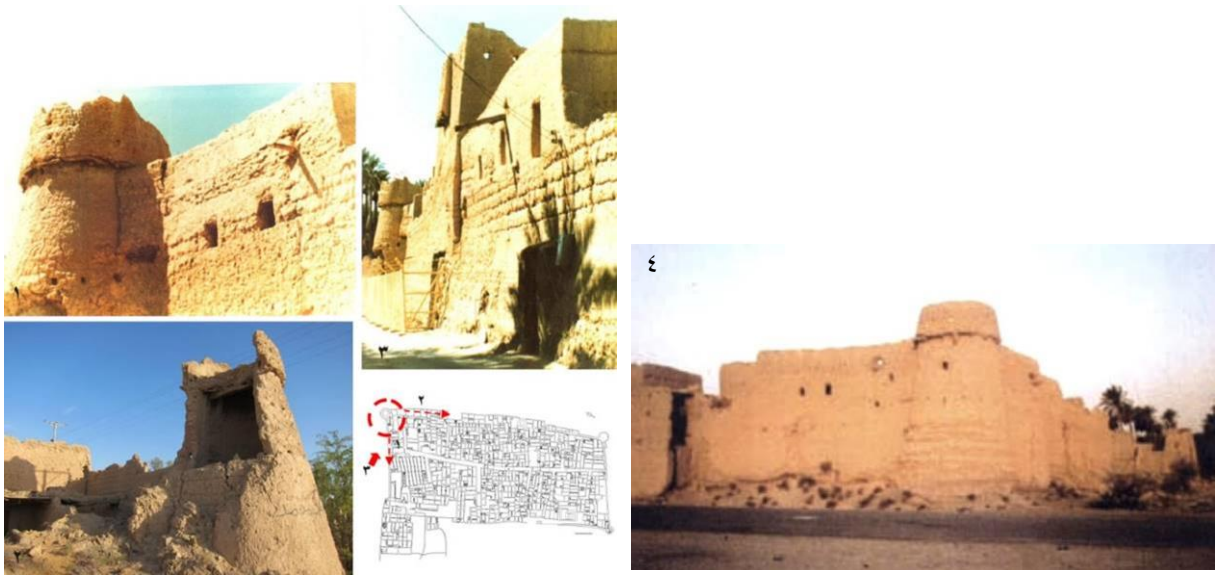

شكل ٦. أحيطت سدوس بسور زُود بالأبراج والتحصينات وقد تهدم معظمها الآن، ١- علاقة برج السلطان بالسور من الجهة الجنوبية. المصدر: (عثمان، محمد عبد الستار،مرجع سابق، ص ٣٨٥)، ٢- حالة برج السلطان الآن وعلاقته بالسور من الجهة الغربية المصدر: (تصوير الباحث، يناير ٢٠١٣)، ٣- إمتداد السور بالجهة الجنوبية لسدوس يبين علاقة السور بالدروازة وبرج السلطان. المصدر:(عثمان، محمد عبد الستار، مرجع سابق ص ٣٨٤)، ٤- أحد أبراج مع سور سدوس. المصدر: (البيني، ماركو، العمارة التقليدية في المملكة العربية السعودية، المنطقة الوسطى، ترجمة الدكتور أسامة محمد نور الجوهري، وكالة الآثار والمتاحف، وزارة المعارف، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ).

[ب] المرقب.

من العناصر البصرية المتميزة التي تزيد من تأكيد الحاجة إلى حماية المكان وأمنه، وهو عبارة عن برج للمراقبة، ويقع على بعد حوالي ٢٥٠ متراً من السور الجنوبي لسدوس، وقد بني على ربوة مرتفعة نسبيا عن مستوى الأرض. والبرج أسطواني الشكل، وقد تهدم تهدما كبيراً، ولم يتبق منه سوى قطاعه السفلي، الذي يمثل الجزء المصمت الذي كانت تعلوه حجرة المراقبة. وإختيار موضع هذا البرج إرتبط بالظروف الطبوغرافية لسدوس وطرق الوصول إليها من الجهة الجنوبية، وكان إنشاء هذه الأبراج يمثل ظاهرة تحصينية منتشرة في بلاد نجد. (عثمان، محمد عبد الستار، مرجع سابق، ص٦٦).

[ج] الدروازة.

وهي المدخل الرئيسي المحصن الذي يقع تقريبا في منتصف السور الجنوبي للبلدة. والدروازة كلمة ذات أصل فارسي تعني البوابة، وهي تتكون من طابقين أرضي وأول علوي عبارة عن برج يعلو المدخل يسمى المقصورة. وقد أهتم بتخطيط وإنشاء الدروازة إهتماماً كبيراً يعكس جانبا من طرق الدفاع، وإنعكس هذا الاهتمام في إستخدام الحجر الجيري جيد النحت في بناء عضادتي المدخل إلى مستوى العتب تقريبا (شكل ٧)، ولفتحة الباب مصراع من الخشب مدعم من الداخل بعوارض خشبية قوية تساعد على متانته. ويتقدم أعلى العتب الذي يعلو فتحة الباب سقاطة عبارة عن شق طولي في البناء الذي يعلو الباب، يعلوه حوض حجري يسمى محليا البركة، كان يملأ بالماء لإستخدامه في إطفاء ماقد يضرمه العدو المهاجم من نيران في الباب الخشبي الذي يقع أسفله. ورحبة المدخل عبارة عن فراغ مستطيل، ويوجد بالجهة الغربية من رحبة المدخل المجلس، وكان يجلس فيه الرجال من أهل القرية.

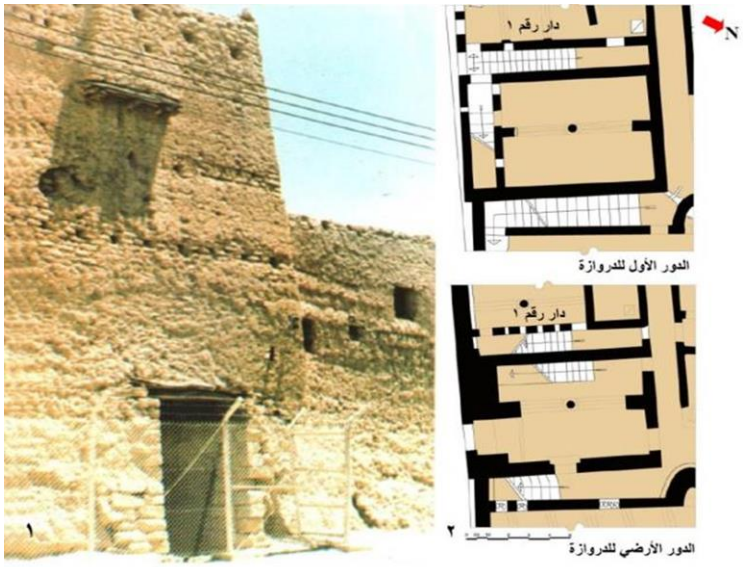

شكل ٧. ١- شكل الدروازة وبرج المقصورة أعلاها قبل التهدم. المصدر: (عثمان، محمد عبد الستار، مرجع سابق، ص ٣٨٢) ٢- المساقط الأفقية للدروازة.

[د] الأبراج (برج آل معمر كمثال).

ويقع البرج في الزاوية الشمالية الغربية للبلدة، وبني بنفس الأسلوب والشكل المتبع في الأبراج الأخرى، مع ملاحظة أن الجزء العلوي من هذا البرج الممثل في الحجرة والدروة التي تعلو سطحها مبنية بالطوب في مداميك منتظمة وليس بطريقة العرق، ويتم الوصول إلى هذا البرج عن طريق إحدى الدور المجاورة، من سطح القاعة الشمالية الغربية، حيث توجد فتحة باب للحجرة، والحجرة بها صف من فتحات الرمي يبلغ عددها تسع فتحات بالإضافة إلى ثلاث فتحات أخرى مربعة الشكل تعلو قليلاً فتحات الرمي وهى مخصصة للإضاءة والمراقبة. ويوضح (شكل – ٨) أحد أهم الأبراج والتي بدأ من بعدها الإمتداد العمراني للبلدة شمالاً.

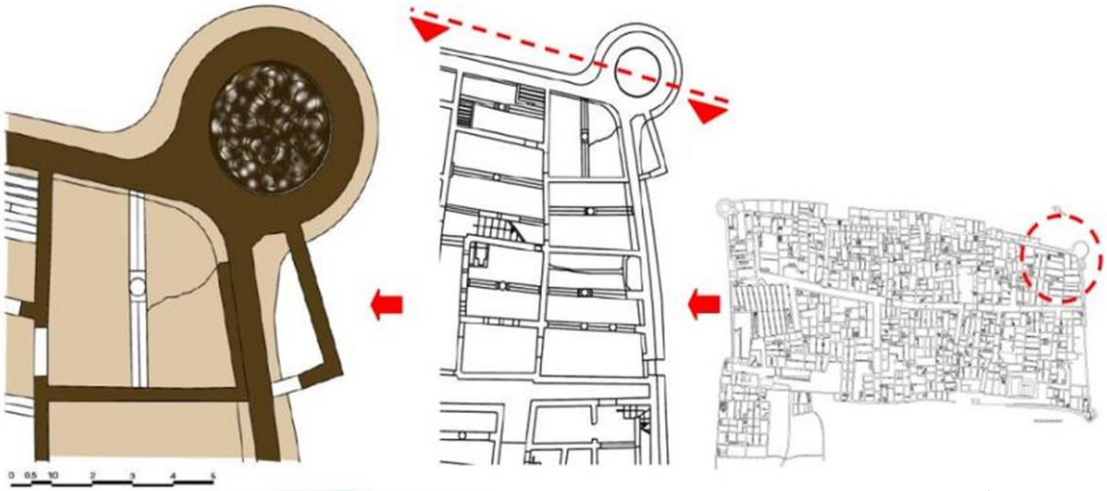

المسقط الأفقي لبرج آل معمر المحيطة

علاقة البرج بالسور

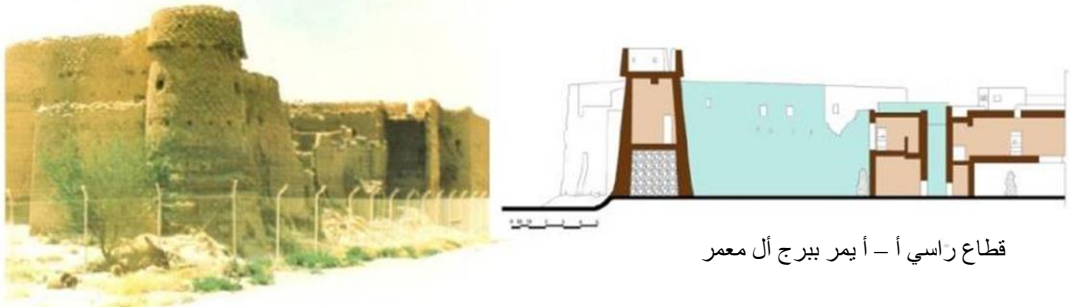

قطاع راسي أ – أ يمر ببرج أل معمر

شكل ٨. برج آل معمر ويقع في الناحية الشمالية الغربية لسدوس، صورة للبرج قبل هدمه. المصدر: (عثمان، محمد عبد الستار، مرجع سابق ص ٣٩١)

[هـ] المقصورة.

المقصورة مصطلح محلي يطلق على البرج الذي يعلو المدخل، وبرج المقصورة بناء ضخم مستطيل المسقط، ويلاحظ أن بناء الجدران يميل إلى الداخل كلما إرتفعت في هيئة مخروطية، وقد زود هذا البرج في كل واجهة من واجهاته الأربع بطرمة بارزة عن سمت الواجهة، بأرضيتها فتحات تمكن من رؤية من بالخارج، والبرج من الداخل مستطيل الشكل، يرتكز سقفه الخشبي على الجارين الشرقي والغربي بالإضافة إلى عمود في الوسط يعلو العمود الموجود بالمجلس بالدور الأرضي للدروازة.

٢-٢-٢ فراغات الأسواق والمنشآت التجارية.

تعكس فراغات الأسواق مباشرة هوية المكان المجتمعية المتأثرة بالعوامل الإجتماعية والإقتصادية، ووضح البعد الإجتماعي في تخصيص سوق للنساء فقط، وقد ساعد وقوع سدوس على الطريق التجاري بين اليمامة ومكة على إنتعاش الأنشطة التجارية، ومارس أهل سدوس أنشطتهم في سوقين، أحدهما يقع خارج الأسوار من الجهة الجنوبية، ويسمى سوق من الطالع، والأخر كان يعقد داخل البلدة وهو سوق خاص بالنساء يقع في الجهة الشمالية الغربية من البلدة. وسمي سوق من الطالع بهذا الاسم محليا، والسبب في هذه التسمية كما يبدو من الإسم نفسه أن هذا السوق يقع خارج الدروازة التي يخرج منها أهل البلدة إلى خارجها حيث يقع السوق مباشرة. ويجاور سوق النساء الرحى ولهذا التجاوز علاقته بما يمارس من أنشطة تجارية للنساء في هذا السوق، وبالإضافة إلى هذين السوقين وجد بالبلدة متجران وحانوت قصاب "الجزارة". ويوضح (شكل – ٩) جانباً من أسواق بلدة سدوس.

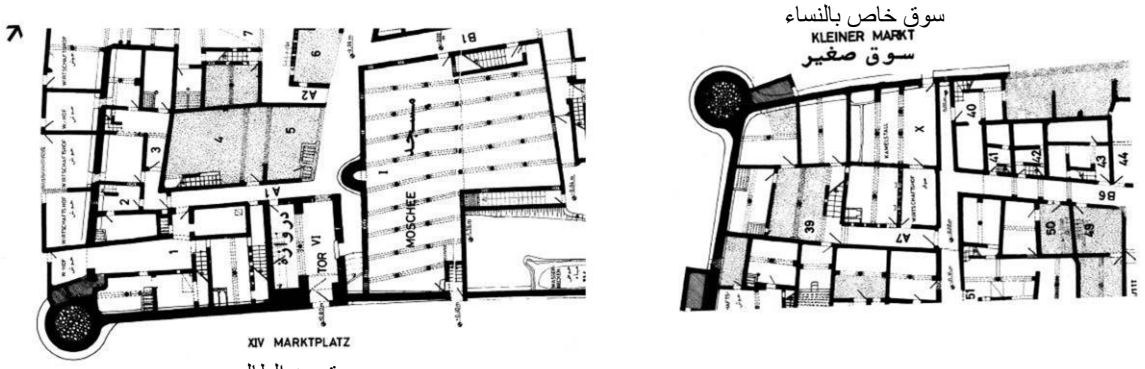

شكل ٩. جانب من أسواق بلدة سدوس

٢-٢-٣ الفراغات الدينية (المسجد).

يقع المسجد في الجهة الجنوبية الشرقية من سدوس، على يمين الداخل من الدروازة، المدخل الرئيسي للبلدة (شكل ١٠)، ملاصقا للسور الجنوبي، وغالبا ماكان يختار للمسجد في المستوطن الإسلامي موقعا متوسطا بين تكويناته المعمارية، ويعود اختلاف موضع مسجد سدوس في أقصى الطرف الجنوبي لسدوس إلى إرتباط حياة المجتمع في هذه البلاد إلى طبيعة النشاط اليومي المحصور بين الدار والمسجد والمزارع التي تقع غالبا خارج أسوار البلدة. ولطابع وهوية المسجد في قرية سدوس ميزة خاصة، فهو أولاً يتكون من دورين خلافاً للمساجد المعاصرة لتلك الفترة في منطقة نجد، ويعود ذلك إلى تأثير بيئي لملائمة المسجد لظروف الطقس، ففي الشتاء يصلي المصلون في الدور الأرضي ويستغل الدور العلوي للصلاة في فصل الصيف. ويتبع المسجد في تخطيطه النمط المعماري لمساجد نجد ذات الخلوة، والخلوة تمثل الدور الأرضي بالإضافة إلى رواق الصلاة وصحن يتقدمه في الطابق العلوى ثم سطح الرواق المعد للصلاة أيضا. (G.R. King: The Historical Mosques, Saudi Arabia, Longman, London, New Yourk, ١٩٦٨,P.١٤٦)، ويستخدم الدور الأرضي للمسجد والذي يطلق عليه كما ذكر الخلوة للصلاة، وتتكون الخلوة من الداخل من ست بلاطات موازية لجدار القبلة بواسطة خمس صفوف من الأعمدة، بكل من الصف الأول والثاني من جهة القبلة، تسعة من الأعمدة الحجرية المبنية من قطع حجرية إسطوانية الشكل مستديرة القطاع، مملطة بالجص من الخارج. أما الصفوف الثلاثة الأخرى فبكل صف منها خمسة من الأعمدة المبنية بنفس الأسلوب.

أما الطابق العلوي للمسجد فينقسم إلى قسمين، القسم الغربي: وهو عبارة عن رواق للصلاة يتكون من ثلاث بلاطات بواسطة ثلاث بائكات، أما القسم الشرقي: فهو عبارة عن صحن مكشوف يعلو القطاع الشرقي من الخلوة، ويستغل هذا الصحن للصلاة في أيام الربيع والصيف ولاسيما في صلاة العصر والمغرب والعشاء. ويستغل سطح المسجد الذي يعلو الرواق للصلاة أيضا في أيام الصيف وبخاصة في الأوقات المسائية التي تخف فيها شدة الحرارة. وقد أحيط السطح بدروة يرتفع بناؤها في الجوانب الشرقية والشمالية إلى حوالي ١.٦٠ متراً وذلك لمنع كشف الدور المجاورة. ويتم الوصول إلى المسجد من خارج أسوار البلدة من باب رئيسي للمسجد يقع في السور الجنوبي للبلدة، وبالجدار الشمالي للمسجد بابان آخران متشابهان، ولكل منهما مصراع من الخشب، وقد شيدت أسقف المسجد من خشب الأثل وجريد النخل.

من الوصف التحليلي السابق لفراغات المسجد، نجد أن هناك عدة عوامل أثرت على هويته وفراغاته وتشكيلها، أول هذه العوامل إختيار الموقع الذي وُظف لينتفع به أهل البلدة ومن يشتغلون بالمزارع، وفرض المناخ الحار الجاف إمكانية تعدد أدوار المسجد فبني المسجد من عدة أدوار لإمكانية الصلاة في أماكن مختلفة تبعاً لطبيعة المناخ خلال اليوم، كذلك إعتبار الخصوصية حاكم هام في البنيان فرفعت الدروة الخاصة بأسطح المسجد حتى تحقق خصوصية المساكن المجاورة، بالإضافة إلى الطابع المعماري المميز والظاهر من بقايا أعمدة المسجد وتشكيلاتها الإنشائية والمعمارية.

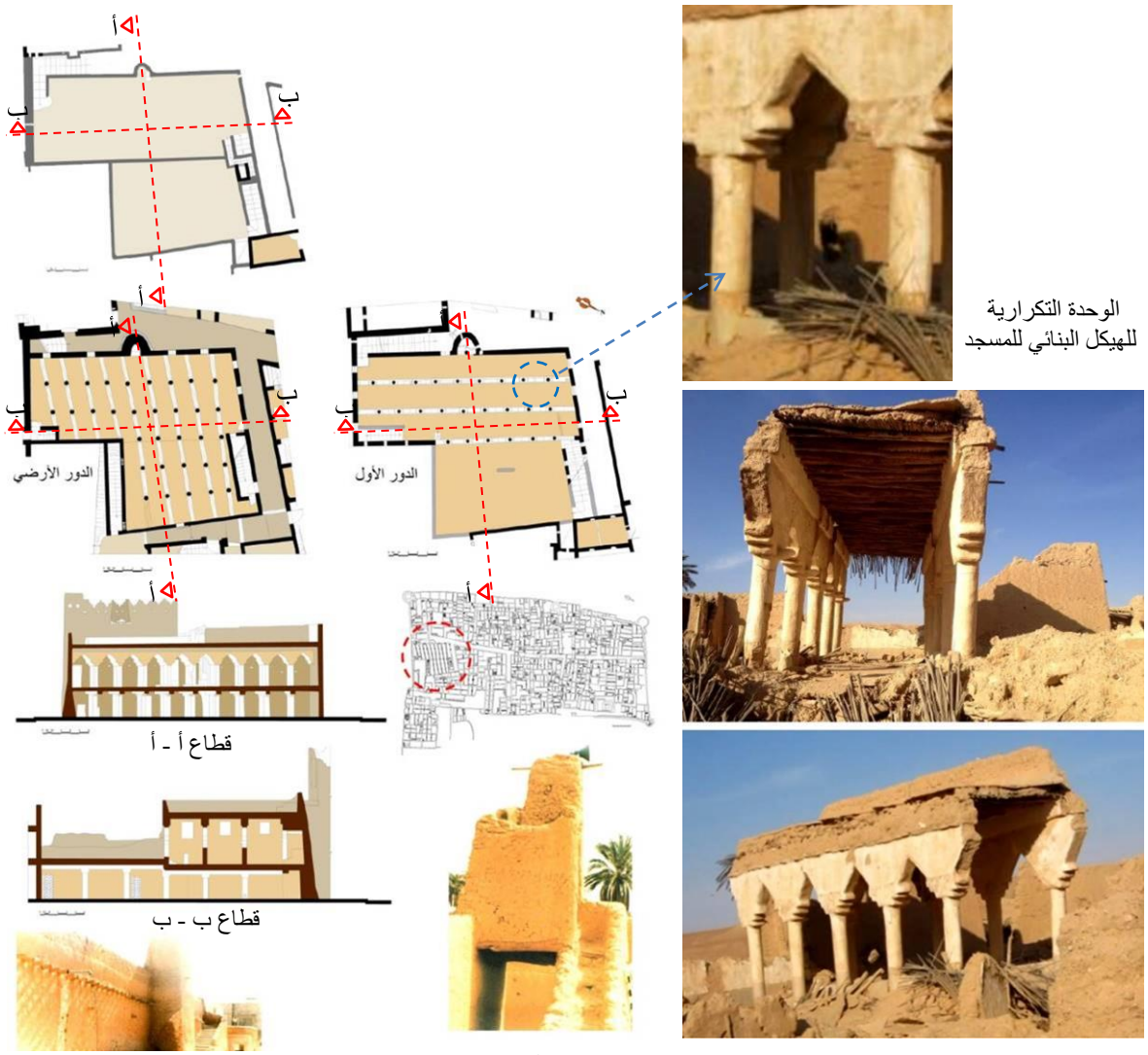

شكل ١٠. العناصر المعمارية ومفردات تشكيل المسجد ويقع في الجانب الجنوبي الشرقي لبلدة سدوس

٤-٢-٢ الفراغات السكنية (المنزل السدوسي).

يعتبر المسكن هو الوحدة التكوينية الأساسية للكتلة العمرانية لسدوس، وهو العنصر الأقوى والمؤثر والذي يعكس بشكل واضح هوية وطبيعة المكان، فتضامت فراغاته وحمت المساكن بعضها البعض، أذاب الحدود العادية المتعارف عليها، وأستعملت مواد بيئية طبيعية دعمت هويته وإرتباطه ببيئة المكان وخصائصه، ويتكون المنزل غالبا من طابقين، وتكونت معظمها من عناصر المدخل، الباحة ويحتوى الدور الأرضي على عدة حجرات كل منها تسمى صفة، تخلو من النوافذ وتستخدم أحداها لتخزين المواد الغذائية، والأخرى لعلف الحيوان، وبيت الحطب، كما يوجد تحت السلم بيت يسمى بيت الدرج يستخدم أحيانا لتخزين الحطب، وفي الطابق العلوي توجد الغرف وأحيانا المجلس آو الديوانية آو الروشن وفي الصيف كان السطح يستخدم للنوم، ويتكون الأرضي من ثلاث غرف غالبا، وغرفة تجهيز القهوة "الديوانية" حيث يستقبل الضيوف، ومستودع الحبوب ويستخدم لحفظ القمح والحبوب، وإلى جانب ذلك بيت الدرج وهو عبارة عن غرفة تحت الدرج تستخدم لحفظ الحطب. وللمنزل مدخلان على الأقل احدهما للرجال والآخر للنساء. وتبنى الطرمة من الخشب أو الجص فوق المدخل لرؤية القادم إلى المنزل كما تستخدم في وقت الحاجة في الدفاع عن البيت. تتميز مساكن سدوس أنها مبنية من الطين وسقوفها من الآثل والجريد وتنفرد سدوس بنوعاً فريدا من التسقيف حيث يتم تسقيف الغرف بفرش الحجارة الرقيقة في الرصف فوق الخشب، وهذا الأسلوب لايوجد في المباني التقليدية إلا في القليل جدا من المباني في إقليم نجد، (التراث العمراني في المملكة العربية السعودية بين الأصالة والمعاصرة، مرجع سابق، ص ٥٤)، ويوضح (شكل – ١١) أحد النماذج والمكون من مسكنين يمثلان حلول شائعة بالبلدة حيث إنفصلا بالدور الأرضي وإشتركا معاً بالإستفادة من الفراغ السماوي بالدور الأول العلوي.

ووفقا لمبدأ الخصوصية فقد رُكبت الأبواب، وتنكيب الأبواب مصطلح فقهي معماري يعني عدم تواجه الأبواب الخارجية للدور. (عثمان، محمد عبد الستار، مرجع سابق ص ٢٦٧)، وقد أشار منزر (Munzer) لما يشابه ذلك من الظروف الاجتماعية والثقافية، واصفاً أبواب غرناطة بأنه لايتواجه بابان على جانبى الطريق للتخلص من نظرات الفضوليين. (بلباس، ليوبولدوتوريس، الأبنية الأسبانية الإسلامية، ترجمة: علية إبراهيم العناني، صحيفة المعهد

المصري للدراسات الإسلامية، العدد الأول سنة ١٩٥٣م، ص ١٢٧). وقد أثبتت الدراسة الميدانية لحارة الأغوات بالمدينة المنورة مدى الإلتزام بتطبيق الأحكام الفقهية المتصلة بتنكيب الأبواب منعا لضرر الكشف. (Ali l-Hathlaul, Saleh, Traditional, Continuity and Changes in Physical Environment, The Arab Muslim City. PH.D. Submitted to Department of Architecture at M.I.T, ١٩٨١, (p.١١٣.

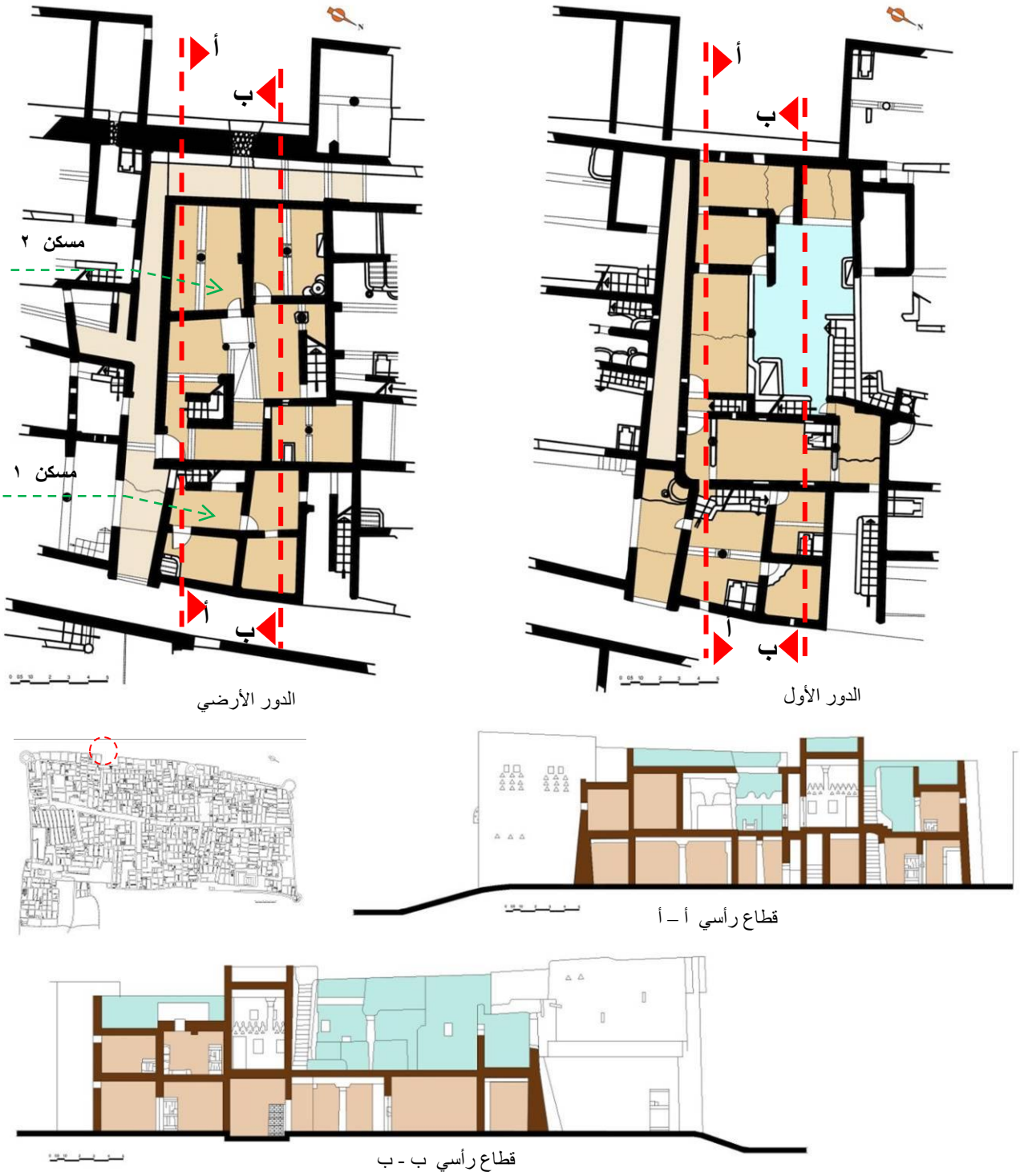

شكل ١١. نموذج لمنزلين متجاورين بسدوس، ويلاحظ إنفصالهم بالدور الأرضي وإشتراكهم في الفناء السماوي بالدور الأول. المصدر: (Doktor-Ingenieur, Qari:t Sadus، مرجع سابق)

٢-٢-٥ الفراغات التعليمية (المدرسة).

إنعكس البعد البيئي بشكل واضح في فراغات المدرسة فحُميت فراغاتها بالكتل المحيطة وإلتفت فراغاتها حول فناء رئيسي منظم للحركة المناخية والوظيفية، وبنيت المدرسة بمواد البناء البيئية من الطين والأعمدة من الحجر، وتقع المدرسة في الجهة الشرقية الجنوبية من بلدة سدوس، وهي تتكون من دورين بها فناء كبير يطل عليه غالبية الحجرات والقاعات، تحتوى على عدة حجرات وقاعات كما في (شكل - ١٢)، يتم الوصول إليها من إحدى الممرات المتفرعة من الشارع العام، وتبعد حوالي ستة أمتار ونصف من بوابة هذا الدرب.

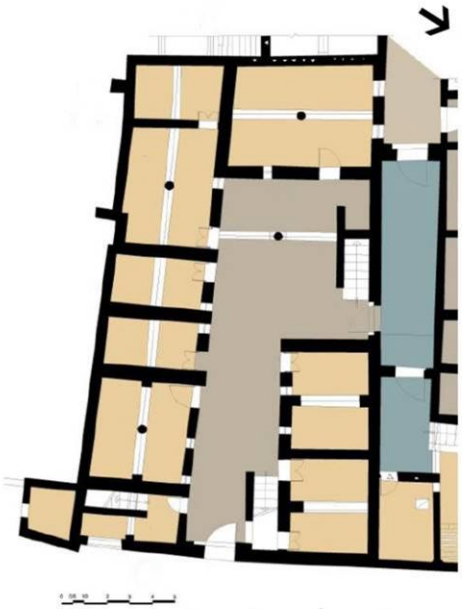

الدور الأرضي للمدرسة

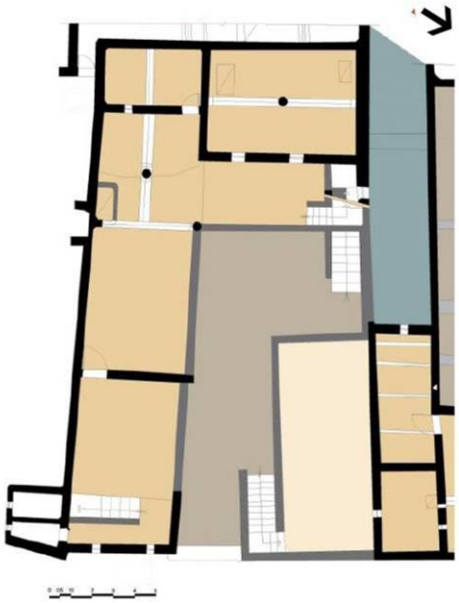

الدور الأول العلوي للمدرسة

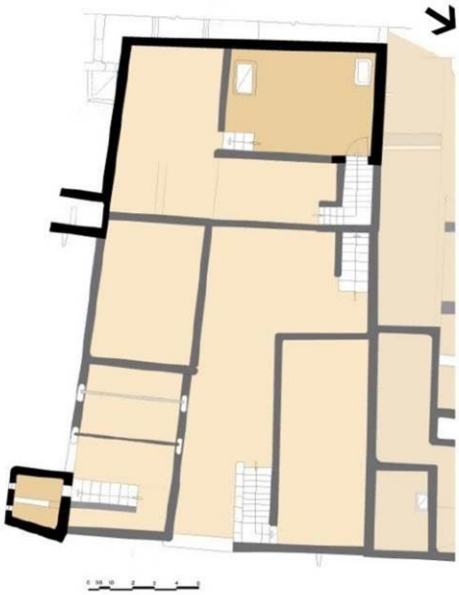

السطح العلوي للمدرسة

شكل السقيفة بالمدرسة قبل تهدمها

شكل الفناء بالمدرسة قبل تهدمها

شكل ١١. توافق طابع المدرسه وهويتها المعماريه مع السمات العامه بسدوس، فقد حميت فراغاتها بتواجدها كحيز متناسق مع عمران سدوس، وإعتمدت في التهوية والإضاءة على إلتفاف فراغاتها حول الفناء المنظم للوظيفة والبيئة والمناخ

٢-٣ البعد البيني لمواد وعناصر البناء والإنشاء على طابع وهوية سدوس.

إستجاب المستعملون بشكل تلقائي وتفاعلي مع طبيعة المكان وبيئته، وأدى هذا التفاعل إلى صياغة جيدة لهوية العمران مدعومة بالصورة البصرية الناتجة من إستعمال هذه المواد. وإستعمل الإنسان السدوسي المواد التي جادت بها الطبيعة بالقرب منه وبشكل تلقائي مع بعض المعرفة الهندسية البسيطة، وتبلور الطابع المعماري كمنهج فيه إستجابة الإنسان للبيئة والطبيعة، ويتميزالطراز العمراني في سدوس التراثية مثل منطقة نجد، بإستخدام مواد البناء المحلية وأهمها الطين، إذ يمكن أن توصف العمارة في هذه المنطقة بالعمارة الطينية، وحازو على شهرة واسعة بإجادة البناء بالطين أو الطوب اللبن، والطين كمادة تشكيلية تتكون طوعا لمستعملها تبعاً لثقافته يساعد بشكل فعال على إضفاء طابع وهوية خاصة، وأسعملت أيضاً بعض المواد الأخرى كالأحجار والجص ومنتجات النخيل من أخشاب وزعف في البناء، مما أضاف طابع خاص لعمران سدوس، ويتم في الجزء التالي من البحث تحليل لتلك العلاقة ووصف لمواد البناء وتأثيرها على هوية وطابع سدوس.

٢-٣-١ الطين والطوب اللبن.

أُستخدم الطين في منشآت سدوس بعدة صور مختلفة، فقد أستخدم الطين مباشرة في البناء بطريقة العرق، كما ضرب الطوب اللبن في قوالب ثم جفف ثم أستخدم في البناء، وأستخدم في وقت متأخر الطوب اللبن المصنوع باليد بدون إستعمال القالب حيث ساعد في تكملة بعض الحوائط بالطوابق العلوية أو في سد بعض فتحات الأبواب أو النوافذ في الدور. والتربة التي صنع منها الطوب اللبن المستخدم من الترسيبات الطموية بالوادي والتي ترتفع بها نسبة المواد الكلسية التي تساعد على متانته، وتتوقف جودة الطوب أيضا على مكونات التربة التي يصنع منها ونسبها المئوية من الطين والطمي والرمل ودرجة قلويتها، كما يتوقف على كمية المياه المخلوطة وتوزيع مسام التربة مما يؤثر على جودة اللبن وإمتصاص الرطوبة ودرجة نحتها، (L.E. Wolfshill et al. Handbook for Building) Homes of Earth, Texas Transportation Institute. College Station Bulleting. No. ٢١. E ١٤-٢٣. P ٤٧ & Kilical: P. ٦٥)، وأستخدم الطين في لياسة الجدران بالإضافة إلى إستعماله كمونة في البناء. والطين المستعمل في البناء بطريقة العرق يجهز بنفس الطريقة التي يجهز بها الطين المستخدم في صناعة الطوب اللبن. كما أن له نفس المواصفات وأستخدم غالبا في بناء الأسوار والأبراج وأساسات بعض الدور - وهو يعد بطريقة جيدة الخلط. (بن إسماعيل، أبي الحسن على - ت ٤٥٨ هـ: المخصص، دار الفكر، د.ت.، مجلد ١، سفر ٥، ١٨٩٨م، ص١٢٥). ويوضح (شكل – ١٣) ملامح العمارة الطينية في مباني ومنشآت سدوس.

شكل ١٣. شكلت العمارة الطينية بخصائصها ومواصفاتها وملمسها وصورتها البصرية سمات خاصة لعمارة سدوس. المصدر: (الباحث أثناء الزيارة الميدانية، يناير ٢٠١٣م)

٢-٣-٢ الحجر.

أستخدم الحجر الجيري في بناء المنشآت في سدوس في مواضع محددة وفي منشآت بعينها، وقد أستخدم في بناء أساسات السور والمسجد وبعض الدور، كما إنه أستخدم في بناء الروشن المجاور له، ومايتضمنه من قنوات أو أحواض صغيره خاصة بالإستحمام أو الوضوء، وأستخدم أيضاً في بناء بعض الأركان الخارجية لبعض الدور. ويتوفر الحجر الجيري في المنطقة وقد تخصص في قطعه ونحته وإستخدامه بعض أهالي البلدة، وتشير الدلائل على تلك الأحجار التي نقلت من منطقة المنارة والتي قيل أنها البلدة القديمة كانت في وضعها وأستعملت تلك الأحجار في بناء أساسات الدار الخاصة بآل معمر، ويوضح (شكل ١٤)، بعضا من القطع الحجرية التي أستخدمت في البناء، وقد تهدم كثير من تلك الأعمدة وعثر في بعض القطع الحجرية التي أنشئ منها على بقايا حروف كتابية عربية إسلامية بخط النسخ تشير إلى إعادة استخدام هذا الحجر في بناء العمود. (عثمان، محمد عبد الستار، مرجع سابق، ص ٢٢٢-٢٢٣)، وقد أضاف إستخدام الحجر وتكامله مع الطين في البناء، سمات خاصة لعمران سدوس منها المتانة وزيادة الأمان بالمنشآت والمباني بسدوس.

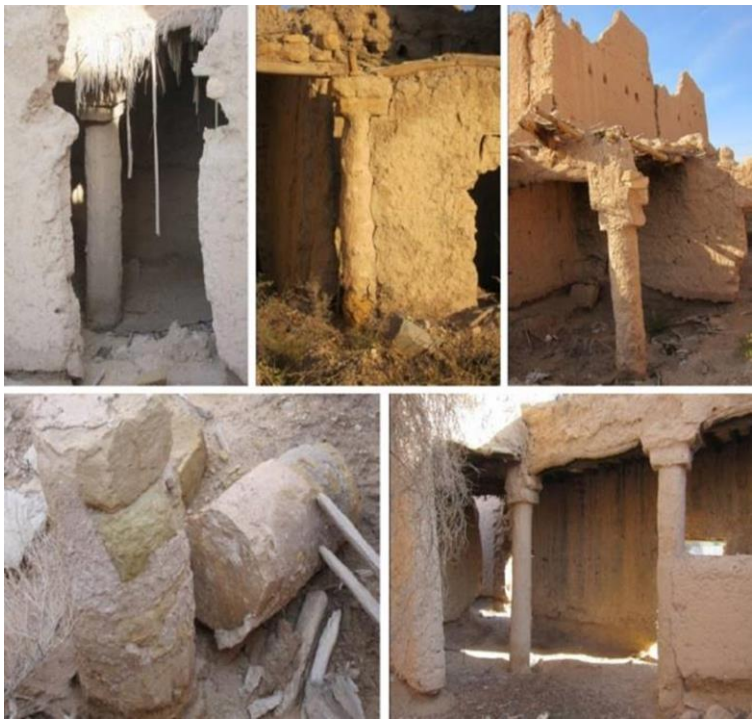

شكل ١٤. بعضاً من بقايا الأعمد الحجرية المستخدمة وقد أضاف إستخدام الحجر جنباً إلى جنب مع الطين في البناء سمة المتانة وزيادة الأمان بالمنشآت والمباني بسدوس. المصدر: (الباحث أثناء الزيارة الميدانية، يناير ٢٠١٣م)

٢-٣-٣ الجص.

أستخدم الجص في تكسية جدران بعض الوحدات بالدور ولاسيما في وزراتها السفلى في مستوى يقارب مستوى إرتفاع الكمار أو بمستواه، وعملت بعض الزخارف النباتية والهندسية من الجص وخصوصا في فراغات المجالس. وكان الجص يجهز محليا عن طريق حرق الحجر الجيري بواسطة متخصصون في تلك الحرفة بسدوس، ويعتبر إستخدام الجص في التكسية من العوامل التي تساعد على تلطيف درجة الحرارة لما يتمتع به من خاصية العزل الحراري بالإضافة إلى إمكاناته التشكيلية والزخرفية. وتتكامل هذه الزخارف بمفرداتها وأشكالها المستمدة من ثقافة المنطقة مع الأبنية لتعكس الهوية الخاصة للمكان. ويوضح (شكل – ١٥) ملامح إستخدام الجص بعمارة سدوس.

شكل ١٥. بعض من أشكال إستعمال الجص ويظهر التشكيلات الهندسية والنباتية التي تعكس ثقافة وهوية المجتمع، المصدر: (الباحث أثناء الزيارة الميدانية، يناير ٢٠١٣م)

٤-٣-٢ جذوع النخيل والجريد والخوص وشجر الآثل.

يمثل النخيل بنجد أهمية خاصة فبالإضافة إلى التمور كانت تستخدم كعنصر إنشاء، حيث أستخدمت في الأسقف بمساكن القطاع الشمالي بسدوس وفي إنشاء السلالم، وكانت جذوع النخيل تجهز لهذه الاستخدامات بشقها نصفين ثم وضعها بشكل رأسي على قطاعها محملة على الجدران لتمثل كمرة حاملة، وقد أستخدم الجريد حيث كان يجدل ويوضع كطبقة تعلو العروق الخشبية مباشرة، وأستخدمت الحبال في جدل جريد السقف وتمتينه مع أنصاف الجذوع، ثم يوضع فوقه طبقة الخوص ثم طبقات الطين لتكتمل طبقات السقف. ويضيف إستخدام منتجات النخيل إرتباط العمران بالمكان وماينتجه من مواد، فبتطويع هذه المواد يدعم الهوية الخاصة للمكان وإمكاناته الطبيعية (شكل – ١٦).

شجرة الآثل

يعتبر شجر الآثل من أهم الأشجار التي تنمو في المنطقة، والتي أعتمد عليها في توفير الأخشاب اللازمة للبناء، وتتميز هذه الأشجار بجذوعها التي يغلب عليها الإستقامة، كما أنها تتميز بنوع من المتانة والقوة التي ناسبت إستخدامها في الإنشاء، ومن ثم جهزت من جذوعها العروق الخشبية التي أستخدمت في التسقيف وصنع الأبواب والنوافذ والميازيب الخشبية وغيرها.

شكل ١٦. جذوع النخيل والأثل وجريد وسعف النخيل من العناصر الأساسية في تسقيف الأبنية بسدوس، فهي تمثل جانباً هاماً من طبيعة المواد المحلية. المصدر: (الباحث أثناء الزيارة الميدانية، يناير ٢٠١٣م)

٣. الحالة التي وصل إليها عمران وعمارة سدوس.

"سدوس كبقية الحواضر النجدية تعرضت لتخلخل بشري؛ إذ أنها تأثرت بسنوات الجدب والجفاف والأمراض والحروب والهجرات، ومن أواخر من تكلم عنها ياقوت الحموي المتوفى في الربع الأول من القرن السابع الهجري، ويظهر أنها بعد ذلك التاريخ بدأت في العد التنازلي في عدد سكانها إلى أن هجرت تماما، وبقيت عبارة عن أطلال مبان وآبار معطلة، (شكل - ١٧) . وفي عام ٨٥٠ هـ وبعد شراء حسن بن طوق التميمي للعيينة من آل يزيد من بني حنيفة ضم سدوس لنفوذه. (بدر، الخريف، سدوس أقدم مستوطنة بشرية في الجزيرة العربية تتحول إلى أطلال، مرجع سابق)، وفي محاولة لإنقاذ سدوس من الإنهيار، تضافرت الجهود سعيا لإحياء بلدة سدود التاريخية وتأهيلها مستقبلا لتكون جزءاً مهماً في المسار التراثي الثقافي السياحي في منطقة الرياض. وقد أولى الأمير سلطان بن سلمان رئيس الهيئة العامة للسياحة والآثار إهتماماً خاصاً لبلدة سدوس وتدشين مشروعا بالتنسيق مع محافظة الدرعية لترميم سدوس على ثلاث مراحل، تتضمن المرحلة الأولى تطوير وسط المدينة خلال ٥٢٠ يوماً، ويتم تنفيذ المشروع بالتعاون بين الهيئة العامة للسياحة والآثار، ووزارة الشؤون البلدية والقروية، ووكالة أمانة منطقة الرياض لشؤون بلديات المنطقة. كما تتضمن المرحلة الأولى من المشروع تنظيف الممرات والفراغات والمباني من المخلفات والأنقاض وتجميعها وفرزها وتسويتها، وإعادة تأهيل البنية التحتية للبلدة للأعمال الكهربائية والميكانيكية، وإعادة رصف الشارع الرئيس حول البلدة وتطويره بطريقة تتماثل مع شكل القرية، وإعادة بناء وترميم سور القرية بالكامل، والمحافظة على منابع مياه الآبار والكشف عنها، والمحافظة على اللوحات الجصية والجدران والأعمدة، وإعادة بناء الجدران الطينية بمختلف عناصرها وطبقاتها وسماكتها (شكل - ١٨). أما المرحلة الثانية للمشروع فيتم خلالها إكمال ما بدأ في المرحلة الأولى، في حين تتضمن المرحلة الثالثة تطوير ما تبقى من أجزاء لحي البلاد، والاهتمام بالأحياء التراثية الأخرى كحي الرأس والمنارة والقصر القديم ومرقب سدوس وغيرها. (الشيدان، أيمن، تحويلها إلى مشروع منتج وسط أقدم المستوطنات البشرية في الجزيرة، سدوس التراثية من الإندثار إلى الإستثمار، الإقتصادية، العدد ٧٤٣٠، الخميس ١٣ ربيع الثاني ١٤٣٥ هـ. الموافق ١٣ فبراير ٢٠١٤).

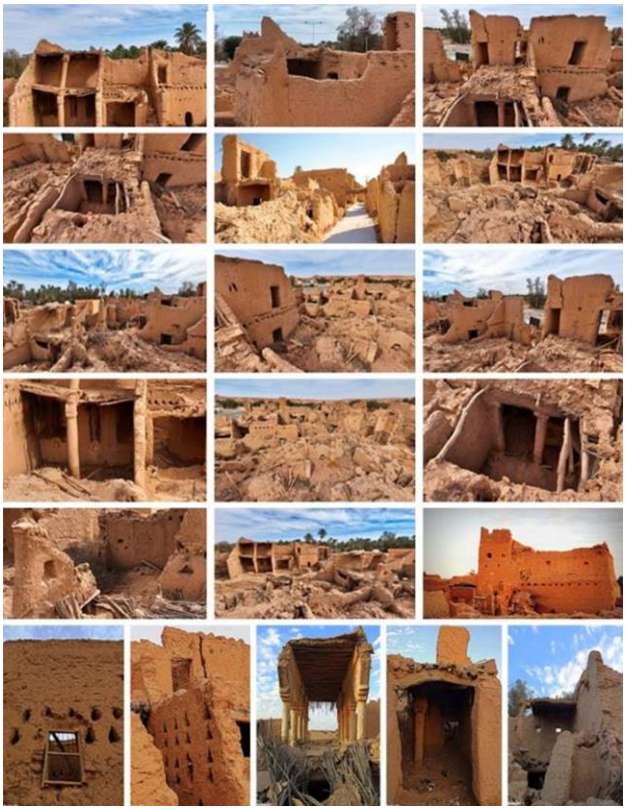

شكل ١٧ . الحالة التي وصل لها عمران سدوس من الإهمال قبل بدء مشروع التطوير، المصدر: (http://www.cities.net/image/٣٦٠-٠٠٤-٠١-old-city-at-sadus-sadus تاريخ – ١٥-٦-٢٠١٦) المصدر: (الباحث أثناء الزيارة الميدانية، يناير ٢٠١٣م)، الجزيرة، جريدة اليكترونية، سدوس محطة مهمة في تاريخ الدولة السعودية، الخميس ١٥ جمادى الآخرة، العدد ١٥٨٨٣، http://www.al-jazirah.com/٢٠١٦/٠٣٢٤/rl٢٠١٦٠٣٢٤htm١/)، ١٤٣٧هـ.

شكل ١٨ . مشروع المرحلة الأولي لتطوير سدوس. المصدر: (أخبار الديرة، البدء في المرحلة الأولى لمشروع تطوير بلدة سدوس، العيينة، صحيفة إليكترونية، ٢٤ أغسطس ٢٠١٤)

٤ـ النتائج والتوصيات.

٤ـ ١ أولا النتائج.

من الدراسة السابقة للتراث العمراني والمعماري لسدوس ومن خلال الوصف التوثيقي والتحليلي السابق لعمارة وعمران سدوس، وتوضيح المفاهيم التشكيلية والتكوينة والطابع من البيانات والدراسات، وماتم الحصول عليه من الزيارة الميدانية ومحاولة الإستفادة من المورث الثقافي والتراثي لسدوس بمفاهيمة ومقوماته، فقد خلصت الدراسة إلى إيجاز أهم السمات والمقومات التي شكلت هوية سدوس في الآتي:

٤ـ١ـ١ تضام غير تقليدي والاندماج والإنفصال

تميزت سدوس بنسيج عمراني له هوية خاصة، حيث تأثر النسيج بالظروف التي فرضتها البيئة والطبيعة والمجتمع، وقد تجاوز هذا النمط العمراني حدود التضام التقليدي من جدران وكتل متلاصقة فقط، إلى تداخل بعض المساكن وإختلاف أجزاء من مساقطها بالدور الأرضي عنها بالدور الأول وخاصة عند إضافة السقائف، ونجد في البعض القليل تبعا لظروف خاصة ينفصل في الأرضي بخصوصية كل منهم، ويشتركا معاً في الدور الأول وفي الفراغات المفتوحة إلى السماء، تبعا لظروف حاكمة إجتماعية وبيئية ووظيفية خاصة. (شكل - ١٩) .

شكل ١٩. دايجرام يوضح التضام غير التقليدي لمجموعة من المساكن المتلاصقة. المصدر: الباحث.

٤ـ١ـ٢ التدرج

تميز نسيج سدوس بتدرج تلقائي واضح جاء استجابة لتفاعلهم الطبيعي مع الإحتياج الفعلي والوظيفي وبتأثير بيئة المكان، بداية من من ممرات الحركة التي ميزها محور للحركة عام يقسم البلدة إلى شقين، شرقي وغربي، تتدرج من هذا المحور ممرات أخرى فرعية تصل إلى القطاعات السكنية على يمين ويسار المحور في تسلسل إنسيابي حكمته الظروف الوظيفية والبيئية والإجتماعية آنذاك.

ويتأكد أيضاً هذا التدرج في الكتل المعمارية المكونة للمساكن، توضحه المتتابعة البصرية للحركة الداخلية للمسكن الواحد، حيث فراغ المدخل منه الى الساحة الداخلية والتي تعد المتنفس الرئيسي للفراغات، وتتدرج هذه الساحة من الأرضي إلى الأول حيث أنه في غالبية الحالات تزيد المساحة المكشوفة في الدور الأول عنها بالدور الأرضي، الأمر الذي يؤدي الى تدرج واضح بالتكوين الفراغي حول الساحة من الأرضي إلى الأول. (شكل - ٢٠).

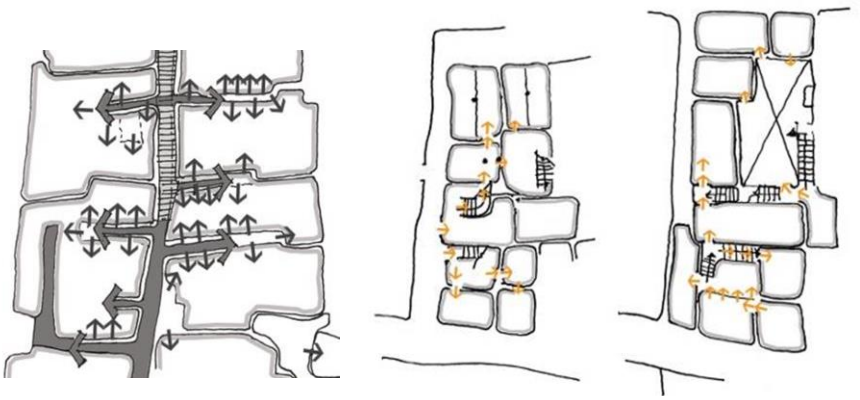

شكل ٢٠. تدرجت ممرات الحركة من الممر الرئيسي أكثر إتساعا إلى الممرات الفرعية الأقل إتساعا، وتدرجت فراغات المسكن تمهيدية صغيرة بالدور الأرضي إلى أكبر بالدور العلوي ثم إلى سماوية أكثر إتساعاً. المصدر: الباحث.

٤-١-٣ المقياس الإنساني

تعمل نسب ومقاييس الكتل المعمارية وفراغاتها ببلدة سدوس على تأكيد الشعور بالمقياس الإنساني، فالتناسب بين عروض ممرات الحركة وإرتفاع المساكن حافظ على وجود فراغات تناسب إحتياجات الإنسان البصرية والوظيفية، وساعد أيضاً تسقيف أجزاء من ممرات الحركة إلى تأكيد ذلك المقياس وزيادة الشعور بالإحتواء والإنتماء إلى المكان. وعملت أبعاد ونسب الفراغات الداخلية للمساكن من غرف وفراغات مكشوفة إلى تواصل وإستمرارية المقياس الإنساني بين ممرات الحركة الخارجية العامة والفراغات الخاصة الداخلية.

٤-١- ٤ التنوع والوحدة والتماسك

عكس التشكيل العمراني لسدوس تنوعاً ملحوظاً في تصميم وصياغة المساكن، حيث لايوجد تطابق أو أى درجة من التشابه الواضح بين الفراغات المكونة للمساكن، ولكن وحدة المعالجات والإشتراك في الخصائص أدى إلى التماسك الجيد، وبالرغم من هذا التنوع الخاص أيضاً فقد عكس التشكيل الكلى وحدة المفهوم والهوية في تحديد صياغة متطلبات التصميم وإختيار المفردات التشكيلية ومواد البناء، وتحديد الأجزاء المصمته والأجزاء المفرغة والمفتوحة إلى السماء، (شكل - ٢١)، كل ذلك أدى إلى هوية تشكيلية متميزة ومتماسكة الأجزاء والكليات، كل بناء فيها يمثل جزء هام لايمكن الاستغناء عنه، وجاء هذا المفهوم نتاج منظومة تشكيلية بيئية وظيفية إستجابت بشكل تلقائي للمؤثرات المحيطة الطبيعة ، الـ ظيفة ، البيئة ، الاجتماعية

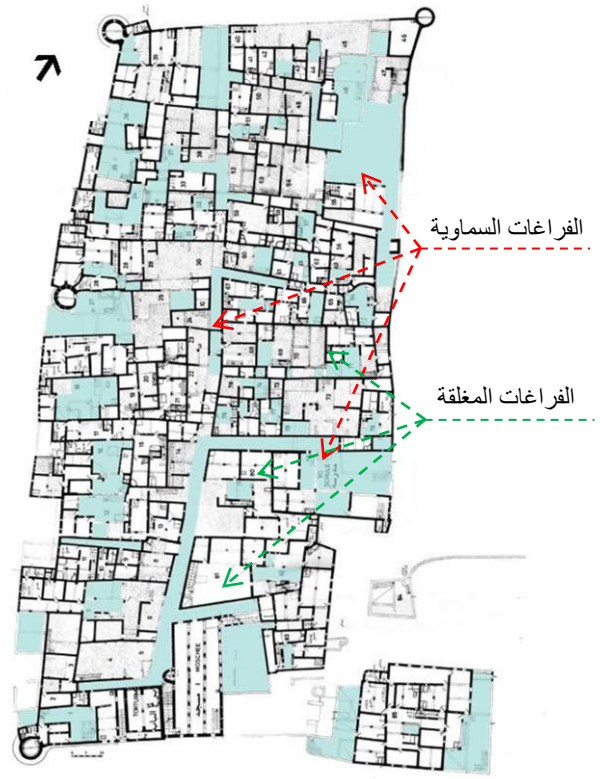

التنوع بين الكتل المغلقة والفراغات السماوية

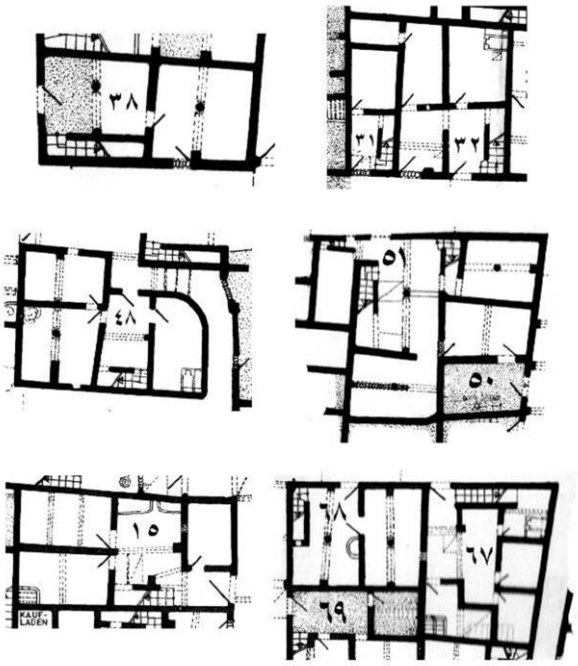

تنوع فراغات المسكن الداخلية

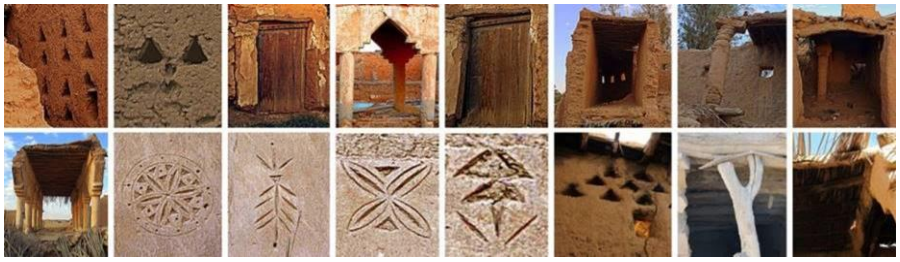

تنوع المفردات المعمارية والإنشائية والزخرفية

شكل ٢١. بالرغم من التنوع الواضح في فراغات ومفردات سدوس لكن وحدة المعالجات والإشتراك في الخصائص أدى إلى التماسك الجيد وهوية واضحة

٤-١-٥ الخصوصية

تعتبر الخصوصية من أهم السمات التي رسمت وشكلت طابع ونسيج عمران ببلدة سدوس، بداية من الكليات ووصولاً إلى أدق الجزئيات بالعمران، فنجد ممرات الحركة واضحة التأكيد على وجود الممر العام لكل المستعملين، ويتفرع منه الممرات الخاصة، لتخصص حركة للقطاعات السكنية لايدخلها إلا من يقصدها، وتنتقل الخصوصية إلى المساكن حيث وجدت المداخل بداية بشكل يحقق خصوصية لكل مدخل في تشكيل يتجنب المداخل المتقابلة المباشرة،

وإعتمد منهج الخصوصية داخل الفراغات الداخلية للمسكن، بداية من المداخل المنكسرة، ووصولا إلى توزيع الفراغات العامة لتطل على الساحة بالدور الأرضي، ثم تخصيص وفصل للفراغات الخاصة جداً في تدرج من العام إلى الخاص، كما روعي في التنسيق بين أسطح المساكن حرمة الجار وخصوصيته وبدأ ذلك واضحاً في تشكيل الأسطح ووجود الأسوار التي تحيط بفراغات كل مسكن في الدور العلوي لتحقق خصوصية كل مسكن على حدة. ويوضح (شكل - ٢٢)، خلاصة سمات ومظاهر الخصوصية البصرية لعمران سدوس.

خصوصية ممرات الحركة الفرعية، ممر لكل قطاع سكنى له خصوصية ساكنيه

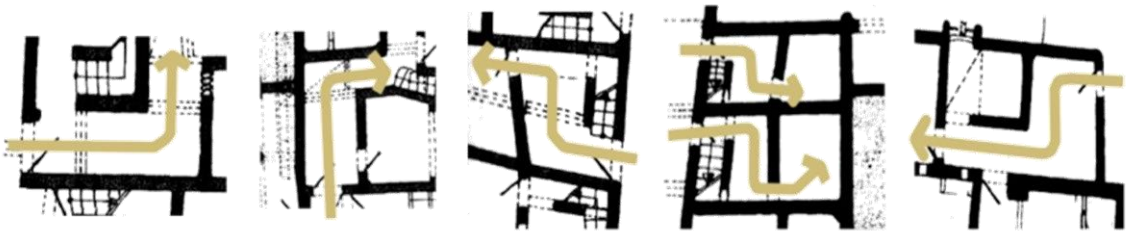

المداخل المنكسرة بمساكن سدوس أحد سمات الخصوصية

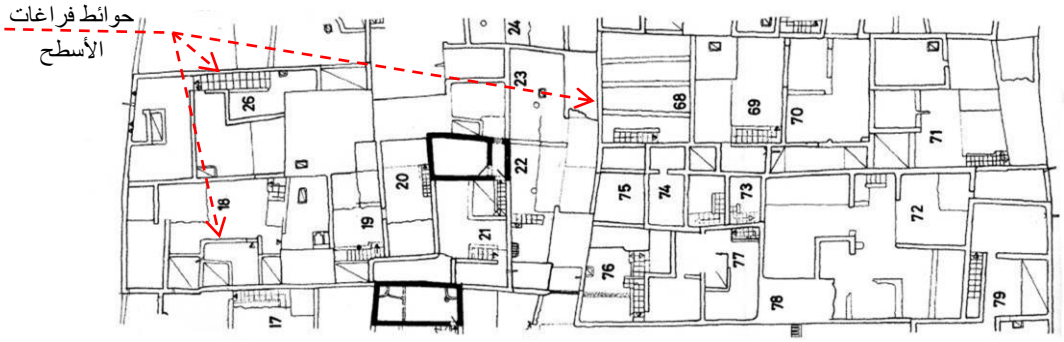

جانب من الأسطح العلوية لسدوس يوضح إلتفاف كل سطح بسور لتحقيق الخصوصية البصرية

شكل ٢٢. أهم مظاهر وسمات الخصوصية البصرية لعمارة وعمران سدوس، Doktor-Ingenieur, Qari:t Sadus ،مرجع سابق.

٤-١- ٦ الوضوح والبساطة والتناغم البصري.

ساعد المحور الرئيسي للحركة ووجود بداية ونهاية واضحة، على وضوح الصورة البصرية وبساطة المتتابعة التي يستطيع المستعمل إدراكها بسهولة ويسر، وأكد على هذا الوضوح وجود الممرات الفرعية المغلقة التي تقوي الصورة البصرية للنسيج العمراني للمستعمل، وهذا الممر يخصص لقطاع سكني لعائلة أو مجموعة من السكان المتآلفين في العادات والتقاليد، ويعد هذا التشكيل البسيط عاملاً هاما في وضوح الصورة البصرية لهوية النسيج لعمران سدوس.

٤- ٢ ثانياً التوصيات.

من خلال النتائج التي توصلت لها الدراسة والحالة التي وصلت اليها سدوس من إهمال قد يؤدي إلى إندثار الكثير من تلك المفاهيم ووضياع مفرداتها توصي الدراسة بإتباع مدخل مقترح للإستفادة من هذا المخزون التراثي ليساعد في تشكيل هوية المكان لمنطقة الرياض. ويوضح الدايجرام رقم ١ مدخلاً مقترحاً كموجهات لتشكيل الهوية المعاصرة، إعتمدت فيه المنهجية على النقاط التالية:

أ. دراسة إمكانات الحفاظ على عمران وعمارة سدوس من خلال إنشاء مؤسسات وهيئات تخصصية
ب. عمل منهج إستنباط للمفاهيم العمرانية والمعمارية لسدوس وكيفية الإستفادة منها بأساليب غير تقليدية بالهوية المعاصرة
ت. بلورة القيم الإنسانية المتعلقة بعمارة وعمران سدوس لدعم الهوية المعاصرة
ث. الإستناد إلي التجربة البيئية والمناخية لعمارة سدوس التراثية لما حققته من توافق جيد مع المكان.

دايجرام ١. المدخل المقترح لتشكيل هوية معاصرة مستمدة من القيم والمفاهيم التراثية لسدوس

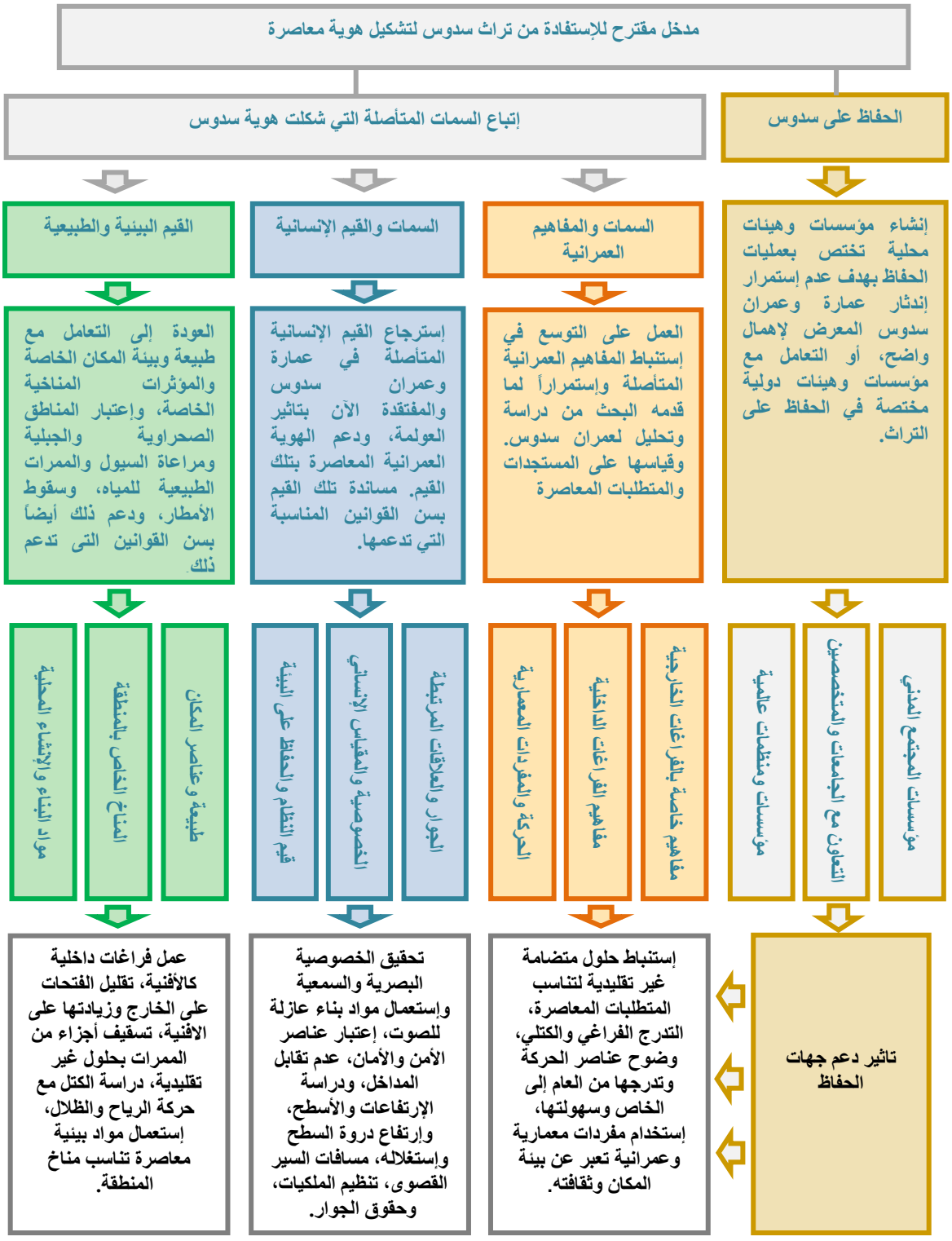

ـ المراجع.

١ـ البيني، ماركو، **العمارة التقليدية في المملكة العربية السعودية**، المنطقة الوسطى، ترجمة الدكتور أسامة محمد نور الجوهري، وكالة الآثار والمتاحف، وزارة المعارف، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ.

٢ـ **التراث العمراني السعودي تنوع في إطار الوحدة**، المؤتمر الدولي الأول للتراث العمراني في الدول الإسلامية، الهيئة العامة للسياحة وآثار، الرياض، ١٤٣١هـ.

٣ـ **التراث العمراني في المملكة العربية السعودية بين الأصالة والمعاصرة**، وزارة الشئون البلدية والقروية، وكالة الوزارة وتخطيط المدن، الطبعة الثانية ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م

٤ـ الجزيرة، جريدة اليكترونية، **سدوس محطة مهمة في تاريخ الدولة السعودية**، الخميس ١٥ جمادى الآخرة، العدد ١٥٨٨٣، (http://www.al-jazirah.com/٢٠١٦٠٣٢٤/٢٠١٦rl١/htm.)، ١٤٣٧هـ.

٥ـ أخبار الديرة، **البدء في المرحلة الأولى لمشروع تطوير بلدة سدوس، العيينة**، صحيفة إليكترونية، ٢٤ أغسطس ٢٠١٤.

٦ـ **إدارة التراث العمراني**، الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، مكتبة الملك فهد الوطنية، ردمد٠٠٣٢-١٣١٩، ١٤٣٢هـ. ص ٩٧.

٧ـ السعيد، صبحي أحمد، **نمط التوزيع المكاني والتركيب الوظيفي لمراكز الاستيطان البشرى في منطقة نجد**، عمادة شئون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٨٦م، ص ١٣٣.

٨ـ الشيدان، أيمن، **تحويلها إلى مشروع منتج وسط أقدم المستوطنات البشرية في الجزيرة**، سدوس التراثية من الإندثار إلى الإستثمار، الإقتصادية، العدد ٧٤٣٠، الخميس ١٣ ربيع الثاني ١٤٣٥ هـ الموافق ١٣ فبراير ٢٠١٤م.

٩ـ الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، **صفة جزيرة العرب**، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٩٧٤م.

١٠ـ بدر، الخريف، جريدة الشرق الأوسط، سدوس أقدم مستوطنة بشرية في الجزيرة العربية تتحول إلى أطلال، الرياض، سبتمبر ٢٠١٢م، شوال ١٤٣٣هـ، العدد ١٢٣٤٠.

١١ـ بلباس، ليوبولدوتوريس، **الأبنية الأسبانية الإسلامية**، ترجمة: علية إبراهيم العناني، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، العدد الأول سنة ١٩٥٣م

١٢ـ بن إسماعيل، أبي الحسن على ـ ت ٤٥٨هـ: **المخصص**، دار الفكر، د.ت.، مجلد ١، سفر ٥، ١٨٩٨م

١٣ـ عثمان، محمد عبد الستار، **عمارة سدوس التقليدية، دراسة أثرية معمارية، دراسة حالة**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ١٩٩٩م.

١٤ـ سليمان، اسعد عبده، **معجم الأسماء الجغرافية المكتوبة على خرائط المملكة العربية السعودية**، مكتبة المدني، جدة، ١٩٨٤م، ص ٢٤٠.

١٥- A. Paport: **House form and culture**, Engliwood Gliffs. N. J. Prentice Hall Inc,. ١٩٦٩, PP. ٨٩-٩٠

١٦- Ali l-Hathlaul, Saleh, **Traditional, Continuity and Changes in Physical Environment, The Arab Muslim City**. PH.D. Submitted to Department of Architecture at M.I.T, ١٩٨١, p.١١٣.

١٧- **Doktor-Ingenieur, Qari:at Sadu:s: Prinzipien der Planung und Gestaltung einer Ortschaft in Zentralarabien (EX ARCHITECTURA - Schriften zu Architektur, Städtebau und Baugeschichte) Gebundene Ausgabe – ١. April ٢٠٠٧ (كتاب عن سدوس باللغة الالمانية)**

١٨- G. Golang(ed): Urban Planning for Arid Zon, New York, John Willen& Sones Inc. ١٩٧٨, P.١٩& Kilical: P.٤٠٥

١٩- G.R. King: **The Historical Mosques**, Saudi Arabia, Longman, London, New Yourk, ١٩٦٨,P.١٤٦

٢٠- http://www.al-jazirah.com/٢٠١٦٠٣٢٤/٢٠١٦/rl١.htm-١٤٣٧هـ

٢١- http://www.٣٦٠cities.net/image/٠١-٠٠٤-**old-city-at-sadus**-sadus ٢٠١٦-٦-١٥ – تاريخ

٢٢- L.E. Wolfshill et al. **Handbook for Building) Homes of Earth**, Texas Transportation Institute. College Station Bulleting. No. ٢١. E ١٤-٢٣. P ٤٧ & **Kilical: P. ٦٥**